الاعتبار
في السفر إلى مليبار

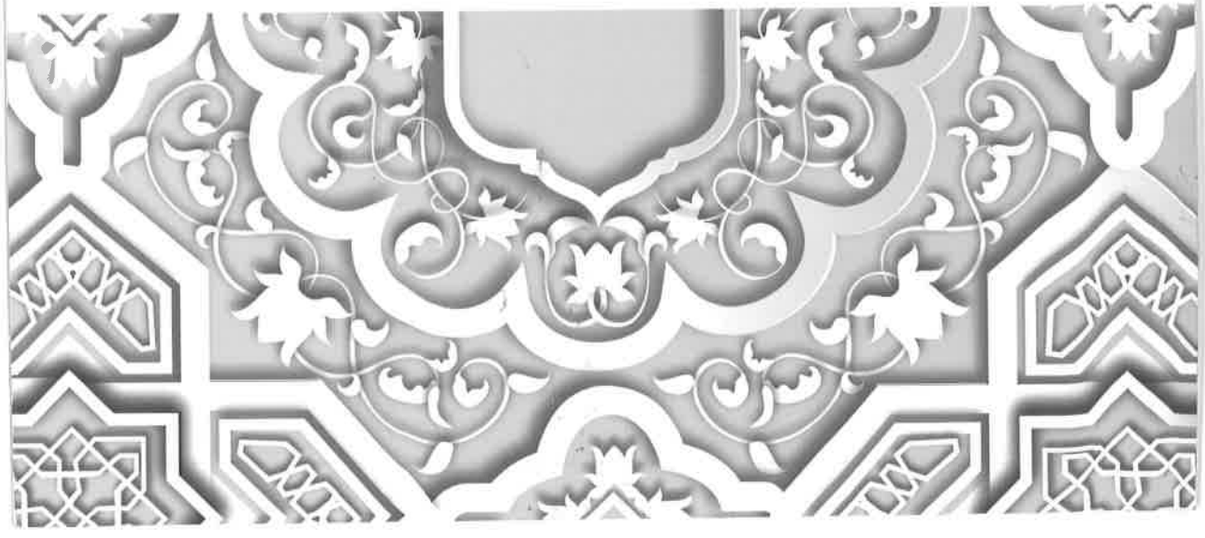

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
العبودي ، محمد بن ناصر عبدالرحمن
الاعتبار في السفر الى ماليباري. / محمد ناصر عبدالرحمن
العبودي - الرياض، ١٤٣٧ هـ
ردمك: ٨-٠-٩٠٧٥٦-٦٠٣-٩٧٨
١- المسلمون في الهند ٢- المليبار
العنوان
ديوي ٩٥٤ ١٤٣٧/١٤٧٧

ردمك: ٨-٠-٩٠٧٥٦-٦٠٣-٩٧٨ رقم الايداع: ١٤٣٧/١٤٧٧

الرحلات الهندية

الاعتبار
في السفر إلى مليبار

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
1437 هـ / 2016 م

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -

المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في

مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية

للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ -

٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز -، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة ((جورجيا)).

(٨٥) خلف الستار العقيدي: رحلة في شرق أوروبا وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطبعة النرجس، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(٨٦) جنوب الشمال: بلاد السويد (من سلسلة الرحلات الأوروبية)، طبع في مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨٧) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(٨٩) الاعتبار في السفر إلى مليبار، من سلسلة الرحلات الهندية، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٩٠) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٩١) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٩٢) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٩٣) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٤) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٩٥) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٦) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٧) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٨) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٩) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠٠) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠١) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(١٠٢) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٣) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(١٠٤) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٥) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠٦) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٧) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٨) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٩) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١١٠) ((حِكَمُ العوام))، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١١١) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١١٢) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والشكر له في كل حين، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبي الإسلام محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإن هذا كتاب من سلسلة كتب في الرحلات الهندية متعلق بآخر الولايات الهندية من جهة الجنوب، وهي (بلاد المليبار) كما قرأنا اسمها في الأسفار التي ألفها العلماء القدماء من العرب، وإن كان أصبح اسمها الآن (كيرلا).

وربما كانت على بعدها بالنسبة إلى عاصمة الهند ومدنه الكبيرة د حظيت أكثر منها بأخبار كثيرة في كتب التاريخ العربي، من نص أدبي، إلى رحلة كرحلة ابن بطوطة، وأخبار مبسوطة في كتب الجغرافية، غير خافية، على من تتبعها وبحث مواضعها.

ومع ذلك فإن هذا ليس هو الذي حدا بي إلى كتابة هذا الكتاب، أو السفر إلى تلك الرحاب، وإنما ذلك سيراً على عادة لي دأبت فيها على كتابة ما أشاهده، أو ألاحظه، أو أسمعه في البلد الذي أحل فيه، ومن ذلك بلاد الهند الواسعة، ذات الأقاليم الشاسعة.

فكان من حظي أن زرت أكثر ولاياتها، من كشمير التي في أقصى الشمال، إلى مليبار المذكورة في هذا المقال، وقد اجتمع لي من ذلك كتب عديدة عن الهند، بعضها طال به العهد، حتى استنجز أهله الوعد بأن تتم طباعته وإذاعته، وبعضها لم تحن فرصة إخراجه، لأنني قد شغلت بغيره من كتب لبعض الناس الذين هم أبعد من أهل الهند عنا منزلاً، وأقلهم لدينا موئلاً، والبداءة بالبعيد بما هو مفيد، أمر مفهوم، لأن الخبر عنه

يكاد يكون كالمعدوم.

هذا وإن قراء من قرائي كثيراً ما سألوني عما أثر من كتابتي لعدة كتب في الرحلات الهندية، وطلبوا أن أطبع منها ما تيسر، لكي يطلعوا من أحوال إخوانهم في الدين على ما استتر، لأن ما اشتهر منها فيه غموض لمن يخوض في المقال عن تلك الأحوال، فكان هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب.

المؤلف

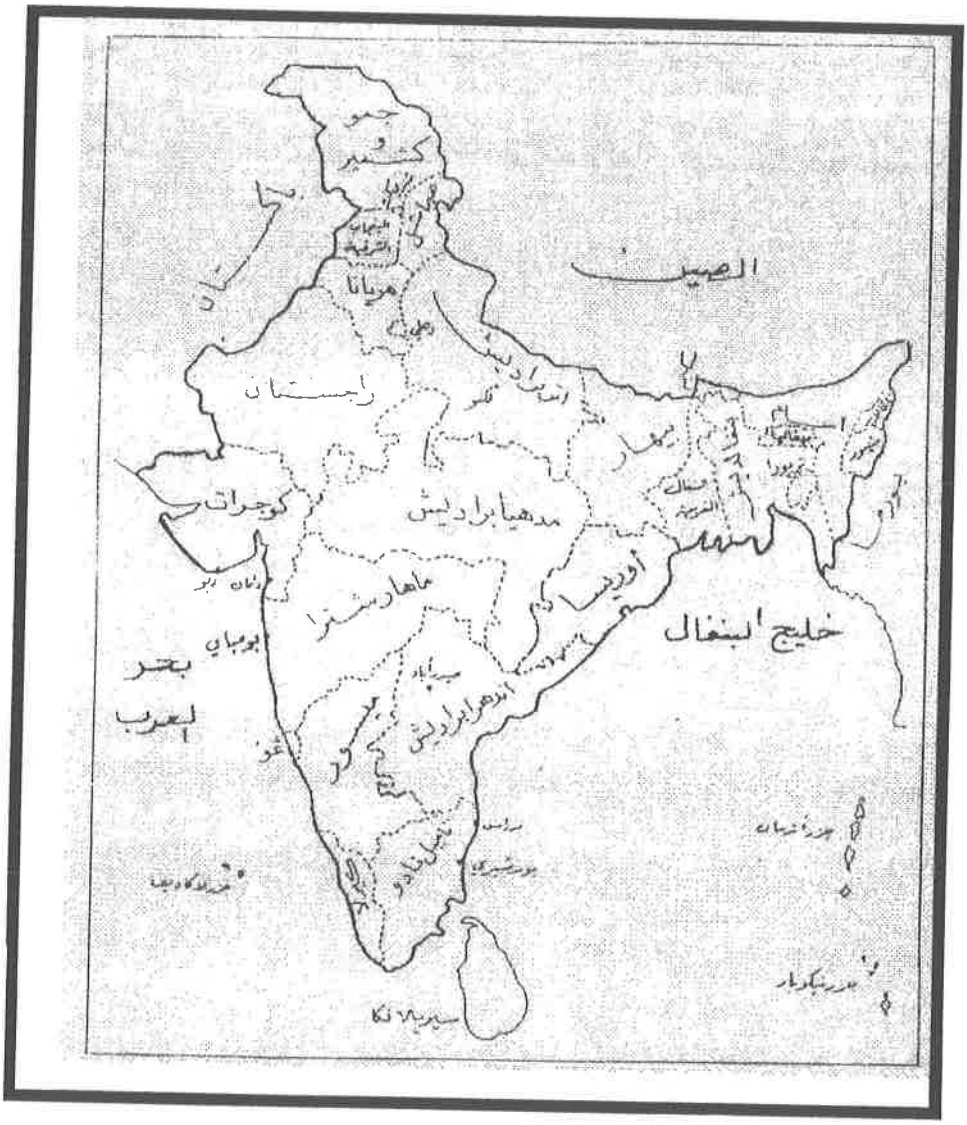

الولايات الهندية

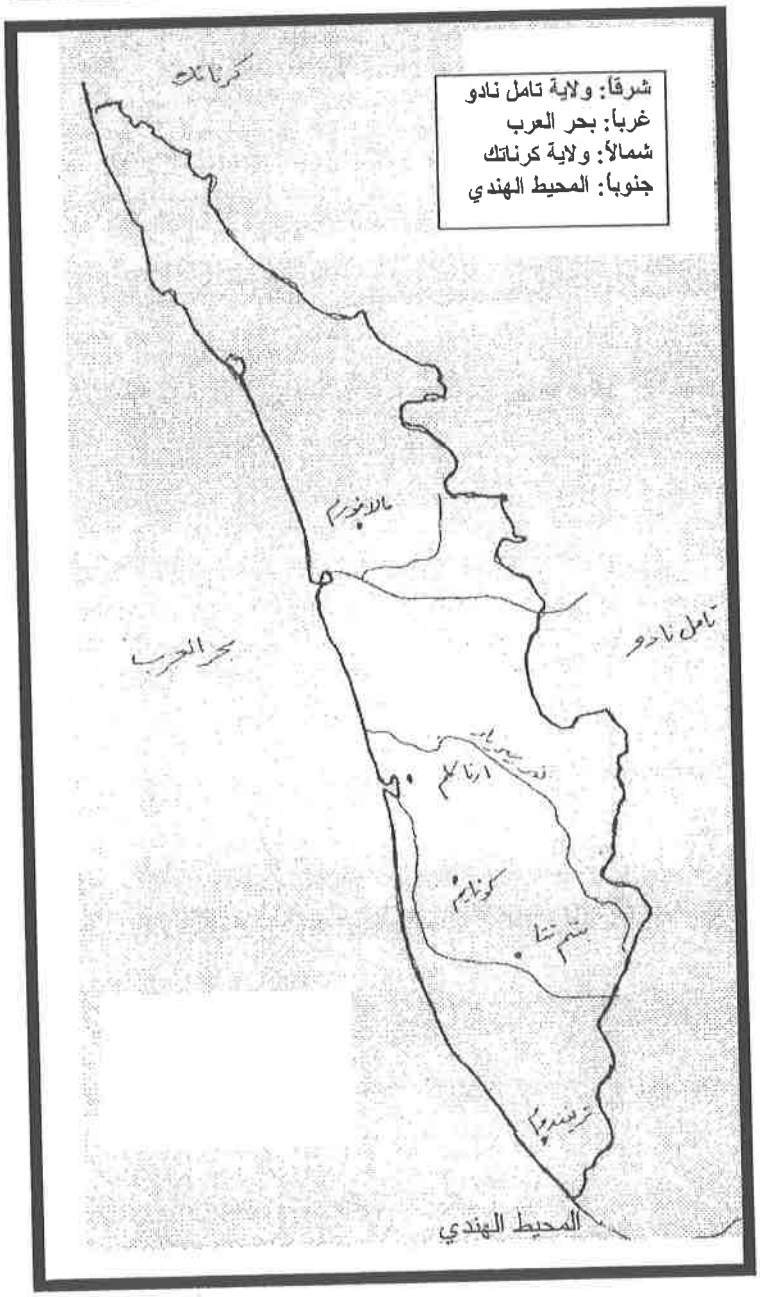

خريطة ولاية كيرالا

كيرالا:

تحتل ولاية كيرالا المكانة الخامسة في ولايات الهند من ناحية عدد المسلمين، هذا ما يدل عليه إحصاء عام ١٩٨١م، ومساحة كيرالا ٣٨٨٦٣كيلو متراً مربعاً، وعدد المسلمين فيها ٥٤٠٩٦٨٧نسمة، ونسبة المسلمين بين سكانها ٢١,٢٥٪ ، وهي أعلى نسبة للمسلمين في ولايات الهند كلها، سوى ثلاث ولايات هي جامو وكشمير، وآسام، وولاية البنغال الغربي.

والكثافة السكانية في ولاية كيرالا عالية جداً، إذ يقطن فيها ٧٤٧ نسمة في الكيلو المتر المربع، وهذه الكثافة لا توجد في ولاية أخرى من ولايات الهند كلها إلا في ولاية البنغال الغربي.

ويسكن في كيرالا سبعة مسلمين من كل مائة مسلم في الهند، ومن المأمول أن يرتفع عدد المسلمين في كيرالا إلى ٧,٤٩١,٦٢٤ نسمة في إحصاء ١٩٩١م، أي بزيادة ٣٠٪ عن إحصاء ١٩٨١م، وعدد المسلمين ونسبتهم إلى باقي السكان في كيرالا منذ سنة ١٩٥١م وإلى ١٩٨١م كما يلي:

العام	عدد المسلمين	نسبتهم في العمران
١٩٥١م	٢٣٧٤٥٩٨	١٧,٥٣
١٩٦١م	٣٠٢٧٦٣٩	١٧,٩١
١٩٧١م	٤١٦٢٧١٨	١٩,٢٠
١٩٨١م	٥٤٠٩٦٩٨٧	٢١,٢٥

وتوجد أغلبية المسلمين في الجهة الشمالية لساحل ماليبار في ولاية كيرالا، ومسلموها الموفليون معروفون جداً في الهند كلها، وعدد المسلمين أقل من ١٠٪ في مديريات كيرالا أيدوكى، وكويتام، والفّا،

وهم بين ١٠٪ و١٥٪ في مناطق ايرناكوا، وكيولون، وتريوندرم، ونحو ١٪ في (بالي غات)، وفي واتي ناد وكتانور كثير من المسلمين.

ونسبة المسلمين في مدينة كاليكوت، أكثر من ٣٤٪، وفي مديرية مالابورم ٦٥٪.

تسميتها:

اسم (كيرالا): اسم وطني عريق، مأخوذ من طبيعة هذه البلاد المطيرة الواقعة إلى الشمال من خط الاستواء، ذلك بأنه يعني (النارجيلية)، أو (بلاد النارجيل)، والنارجيلة: هي الشجرة المباركة التي ينتفع أهلها منها مثلما كنا ننتفع من النخلة العربية، فكلمة (كيرا) تعني: (نارجيل)، و(لا): صلة.

وقد تظرف بعض المستعربين منهم فأسماها (خير الله) قائلاً جاداً أو مازحاً: إن أصل (كيرالا) هو (خير الله)، وقال لي أحد علماء كيرالا: يقال: إن بعض العرب زاروا ساحل (ماليبار) في قديم الزمان. فرأوا وفرة الخيرات فيه، فأسموه (خير الله)، وهذا هو الذي تطور منه الاسم الحالي (كيرالا).

وجدت هذه الأبيات العربية بخط شاعر من أهلها مستعرب وعنوانها: (كيرالا) أو (خير الله)، وهو الشيخ أحمد بن كونجي أحمد كوني المليباري.

كِيرَلاَ أو ((خير الله))

لله دَرُّكِ يَـــا وِلاَيَـــةَ كِـــيرَلاَ ... آتاك ربُّ العَـــرْشِ خَـيْراً أجْـزَلاَ

فَلَقَـدْ جُمِلْـتِ طَبِيعَـةً وَتَوَافَـرَتْ ... آلاَءُ رَبِّـكِ فِيـكِ إنَّ لَـكِ العُـلاَ

كَمْ فِيكِ مِنْ جَبَلٍ وَكَمْ حِصْنٍ وَكَـمْ ... مِنْ غَابَةٍ هِيَ مِنْ مَنَـاظِرَ أجْمَـلاَ

وَحَدِيقَـةٍ بَسَّـامَةٍ أزْهَارُهَـا ... تَسْتَقْبِلُ الـزُّوَّارَ مَـعْ بِشْـرٍ حَـلاَ

وَزُرُوعُكِ الخَضْـرَاءُ ذَاتُ نَضَـارَةٍ ... مُتَدَلِّـلاَتٍ فِـي النَّسِـيمِ تَدَلُّـلاِ

تَحْكِي الثِّيَابَ الخُضْرَ مِنْ إسْـتَبْرَقٍ ... أوْ سُـنْدُسٍ أُلْبِسْـتِهِنَّ تَجَمُّـلاِ

كَمْ مِنْ جِنَانٍ فِيـكِ تُؤْتِـي أُكْلَـهَا ... مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ تَجْـرِي سَلْسَـلاِ

عَذْبٌ نَمِيرُكِ فَـهْوَ أحْلَـى مَشْـرَبَا ... وَجَنَاكِ أطْيَبُ فَـهْوَ أحْلَـى مَـأْكَلاَ

كَمْ فِيكِ مِـنْ ظِـلٍّ ظَلِيـلٍ جَـاذِبٍ ... لِجَمِيعِ مَنْ هُـمْ يَرْتَجُـونَ تَظَلُّـلاَ

ظِلٌّ يَمُرُّ بِهِ النَّسِـيمُ مَـعَ الشَّـذَى ... وَيَطِـيرُ فِيـهِ العَنْدَلِيـبُ مُعَنْـدِلاَ

إنْ يَسْتَرِحْ فِي ظِلِّـكِ المَمْـدُودِ ذُو ... هَمٍّ يَعُدْ وَالهَمُّ عَنْـهُ قَـدِ انْجَلَـى

وَلَقَـدْ قَوِيَـتْ عَلاَقَـةٌ بِجَزِيـرَةٍ ... فِيـهَا كِتَـابُ اللهِ نُـوراً أُنْـزِلاَ

تُجَّارُهَـا مُـذْ قَبْـلِ عَـهْدِ نُبُـوَّةٍ ... جَـاؤُوكَ مُبْتَـاعِينَ مِنْـكِ الفُلْفُـلاَ

كَـانُوا إلَيْـكِ يُسَـافِرُونَ بِرَغْبَـةٍ ... كَيْ يَشْـتَرُوهُ وَغَـيْرُهُ مِمَّـا غَـلاَ

سَمَّاكِ مَـنْ سَـمَّاكِ (خَـيْرَ اللهِ) إذْ ... لاَ خَـيْرَ إلاَّ وَهْـوَ فِيـكِ تَكَحَّـلاَ

لَكِنْ بِتَحْرِيفَـاتِ مَـنْ نَطَقُـوا بِـهِ ... مِنْ بَعْدُ صَارَ لَدَى التَّلَفُّظِ (كِـيرَلاَ)

دخول الإسلام إلى مليبار:

يردد المسلمون في أخبارهم الشفهية التي يتناقلونها جيلاً بعد جيل أن دخول الإسلام إلى المليبار كان قديم العهد، وأنه حدث على زمن ملك من ملوك البلاد القدماء اسمه (جيرمان بورومال)، وأنه شاهد معجزة انشقاق القمر، فعرف أن تلك معجزة لنبي لا تكون إلا لحق، ولكنه لم يهتد إلى معرفة المكان الذي أرسل فيه النبي، ولا اسم النبي، ولا دينه، إلا أنه آمن به إيماناً مجملاً، فكان أول من أسلم من أهل المليبار.

قالوا: وبعد مدة وصل إلى المليبار رجل اسمه مالك بن دينار المدني، ومعه اثنا عشر رجلاً من المسلمين، فدعوا الناس إلى اعتناق الإسلام فأسلم معهم طائفة من أهل البلاد، وأنشأوا أول مسجد أسموه مسجد مالك بن دينار، فهو أول مسجد بني في بلاد المليبار.

وكان بناء المسجد في بلدة (كودنقالور).

ولا شك في أن مرجع القصة يعود إلى قدم دخول الإسلام إلى بلاد المليبار لأول مرة، وكونه لم يؤرخ تاريخاً محدداً.

وذلك أنه لم يكن نتيجة لفتوحات حدثت بعد معارك حربية، إذ المعروف المؤكد أن الإسلام دخل إلى بلاد المليبار عن طريق التجار والدعاة المسلمين الذين أكثرهم من العرب، إذ العرب كانوا يتاجرون مع هذه البلاد منذ قديم الزمان.

ومعلوم أن الدعاة إلى الله لم يكونوا يحفلون بالذكر عند الناس عندما يقومون بالدعوة، وإنما كانوا يقصدون الله سبحانه وتعالى، والثواب الذي ينتظرهم منه تعالى.

ولذلك لم يؤرخوا وصول الدعاة من المسلمين أول مرة إلى هذه

البلاد، ولا قصة أول من أسلموا من أهلها بتآريخ مكتوبة مسجلة، شأنهم في ذلك شأن الدعاة في أكثر البلدان في أول مبدأ الدعوة، حتى انتشر الإسلام، أو دخلت إليه طوائف بنت مسجداً، وألفت مجتمعاً صغيراً، فضلاً عن أن تحكم على قرية أو ناحية، سجلوا ذلك بأنه وجود إسلامي في معرض الكلام على الوقائع أو الأحداث التي وقعت فيها.

وذلك بخلاف الفتوحات الإسلامية، مثل فتح السند على يد محمد بن القاسم الثقفي وغيره، ثم فتح أنحاء واسعة من الهند على يدي السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين - رحمه الله - فذلك كله مسجل معروف التاريخ.

بلاد المليبار في رحلة ابن بطوطة:

توسع ابن بطوطة في ذكر بلاد المليبار، فعدّ منه أماكن هي الآن خارجة عنه، تقع في ولاية كرناتك، ولكنه مثل بقية البلدانيين المسلمين والعرب اعتبروا الساحل الغربي الجنوبي للهند كله من مليبار، وأما ولاية (كيرالا) فإنها تؤلف الجزء الأكبر من بلاد المليبار القديمة.

قال ابن بطوطة: وبعد ثلاثة أيام وصلنا إلى بلاد المُلَيْبَار، وهي بلاد الفلفل. وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر، من سندابور إلى كولم. والطريق في جميعها بين ظلال الأشجار، وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين، يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم وكافر. وعند كل بيت منها بئر يُشْرَب منها، ورجل كافر موكل بها، فمن كان كافراً سقاه في الأواني، ومن كان مسلماً سقاه في يديه، ولا يزال يصب له حتى يشير له أن يكف.

وعادة الكفار ببلاد المليبار أن لا يدخل المسلم دورهم، ولا يَطعم في آنيتهم، فإن طعم فيها كسروها أو أعطوها للمسلمين. وإذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين، وطبخوا له الطعام صبوه له على أوراق الموز،

وصبوا عليه الإدام، وما فضل عنه يؤكلونه الكلاب والطير.

وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل عندهم المسلمون، فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون إليه، ويطبخون لهم الطعام، ولولاهم لما سافر فيه مسلم. وهذا الطريق الذي ذكرنا أنه مسيرة شهرين، ليس فيه موضع شبر فما فوقه دون عمارة، وكل إنسان له بستانه على حِدَةٍ، وداره في وسطه، وعلى الجميع حائط خشب. والطريق يمر في البساتين، فإذا انتهى إلى حائط بستان، كان هنالك درج خشب يُصعد عليها، ودرج آخر يُنزَل عليها إلى البستان الآخر. هكذا مسيرة الشهرين.

ولا يسافر أحد في تلك البلاد بدابة، ولا تكون الخيل إلاّ عند السلطان، وأكثر ركوب أهلها في دولة[1] على رقاب العبيد أو المستأجرين، ومن لم يركب في دولة مشى على قدمَيْه كائناً من كان، ومن كان له رحل أو متاع من تجارة وسواها، اكترى رجالاً يحملونه على ظهورهم، فترى هنالك التاجر ومعه المائة فما دونها أو فوقها، يحملون أمتعته، وبيد كل واحد منهم عود غليظ له زُجٌّ حديد، وفي أعلاه مخطاف حديد، فإذا أعْيَى ولم يجد دكانة يستريح عليها، ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه، فإذا استراح أخذ حمله من غير معين، ومضى به.

ولم أرَ طريقاً آمن من هذا الطريق، وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة، فإذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه. وأخبرت أن بعض الهنود مروا على الطريق، فالتقط أحدهم جوزة، وبلغ خبره إلى الحاكم، فأمر بعود فركز في الأرض، وبُري طرفه الأعلى، وأُدْخِل في لوح خشب حتى برز منه، ومُدّ الرجل على اللوح، وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره، وترك عبرة للناظرين. ومن هذه العيدان

(١) الدولة: هي كالسرير، يجلس فيه الرجل، ويحمله فيه أربعة رجال إلى حيث شاء.

على هذه الصورة بتلك الطرق كثير، ليراها الناس فيتعظوا. ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق، فإذا رأونا تنحوا عن الطريق حتى نجوز. والمسلمون أعز الناس بها، غير أنهم كما ذكرناه لا يؤاكلونهم، ولا يدخلونهم دورهم.

وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطاناً من الكفار، منهم القوي الذي يبلغ عسكره خمسين ألفاً، ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف، ولا فتنة بينهم البتة، ولا يطمع القوي منهم في انتزاع ما بيد الضعيف. وبين بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب، منقوش فيه اسم الذي هو مبدأ عمالته، ويسمونه باب أمان فلان. وإذا فر مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد أحدهم، ووصل باب أمان الآخر، أمن على نفسه، ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه، وإن كان القويَّ صاحب العدد والجيوش.

وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الأخت ملكهم دون أولادهم، ولم أر من يفعل ذلك إلا مسوفة أهل الثلم[1]، وسنذكرهم فيما بعد. فإذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء، أمر بعض غلمانه فعلق على الحوانيت بعض أغصان الأشجار بأوراقها، فلا يبيع أحد ولا يشتري ما دامت عليها تلك الأغصان.

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب، وهم يغرسونها إزاء النارجيل، فتصعد فيها كصعود الدوالي، إلا أنها ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالي. وأوراق شجره تشبه آذان الخيل، وبعضها يشبه أوراق العليق، ويثمر عناقيد صغاراً، حبها كحب أبي قِرِيْنة إذا كانت خضراء، وإذا كان أوان الخريف قطفوه، وفرشوه على الحصر في الشمس، كما يصنع بالعنب

(١) هكذا فيه، وصوابه: أهل اللثام.

عند تزبيبه، ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسودّ، ثم يبيعونه من التجار. والعامة ببلادنا يزعمون أنهم يغلونه بالنار، وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش، وليس كذلك، وإنما يحدث ذلك فيه بالشمس، ولقد رأيته بمدينة قالقوط يصب للكيل كالذرة ببلادنا.

وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبي سَرور، وهي صغيرة على خور كبير، كثيرة أشجار النارجيل، وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بأبي ستة، أحد الكرماء، أنفق أمواله على الفقراء والمساكين.

وبعد يومين منها وصلنا إلى مدينة فاكنور؛ مدينة كبيرة على خور، بها قصب السكر الكثير الطيب، الذي لا مثل له بتلك البلاد، وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط، وبها قاض وخطيب، وعمر بها حسين المذكور مسجداً لإقامة الجمعة. وسلطان فاكنور كافر اسمه باسَدو، وله نحو ثلاثين مركباً حربية قائدها مسلم يسمى لولا، وكان من المفسدين، يقطع بالبحر ويسلب التجار.

ولما أرسينا على فاكنور بعث سلطانها إلينا ولده، فأقام بالمركب كالرهينة، ونزلنا إليه. فأضافنا ثلاثاً بأحسن ضيافة، تعظيماً لسلطان الهند، وقياماً بحقه، ورغبة فيما يستفيده في التجارة مع أهل مراكبنا، ومن عادتهم هنالك أن كل مركب يمر ببلد، فلا بد من إرسائه بها، وإعطائه هدية لصاحب البلد، يسمونها حق البندر، ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه بمراكبهم، وأدخلوه المرسى قهراً، وضاعفوا عليه المغرم، ومنعوه عن السفر ما شاؤوا.

وسافرنا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام مدينة مَنْجَرور، مدينة كبيرة

على خور[١] يسمى خور الدُنب، وهو أكبر خور ببلاد المليبار. وبهذه المدينة ينزل معظم تجار فارس واليمن، والفلفل والزنجبيل بها كثير جداً. (وسلطانها) هو أكبر سلاطين تلك البلاد، واسمه رَامَ دَوْ، وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين، يسكنون ربضاً[٢] بناحية المدينة. وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة، فيصلح السلطان بينهم لحاجته إلى التجار. وبها قاض من الفضلاء الكرماء، شافعي المذهب يسمى بدر الدين المعبري، وهو يُقرئ العلم، صعد إلينا إلى المركب، ورغب منا في النزول إلى بلده، فقلنا: حتى يبعث السلطان ولدَه يقيم بالمركب. فقال: إنما فعل ذلك سلطان فاكنور، لأنه لا قوة للمسلمين في بلده، وأما نحن فالسلطان يخافنا. فأبينا عليه، إلا إن بعث السلطان ولده، فبعث ولده كما فعل الآخر، ونزلنا إليهم، وأكرمونا إكراماً عظيماً، وأقمنا عنده ثلاثة أيام.

ثم سافرنا إلى مدينة هيلي، فوصلناها بعد يومين، وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم، تدخله المراكب الكبار، وإلى هذه المدينة تنتهي مراكب الصين، ولا تدخل إلا مرساها ومرسى كولم وقالقوط، ومدينة هيلي عظيمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع، فإنه عظيم البركة، مشرق النور، وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة، وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين. وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم، ولهم مرتبات من مال المسجد، وله مطبخة فها الطعام للوارد والصادر، ولإطعام الفقراء من المسلمين بها، ولقيت بهذا المسجد فقيهاً صالحاً من أهل مقدشَوْ يسمى سعيداً، حسن اللقاء والخُلق، يسرد الصوم، ويذكر لي أنه جاور بمكة

(١) الخور: الخليج من البحر.

(٢) الربض: الضاحية من ضواحي المدينة، أو ناحية خارجة عنها.

أربع عشرة سنة ومثلها في المدينة، وأدرك الأمير بمكة أبا نمي، والأمير بالمدينة منصور بن جماز، وسافر في بلاد الهند والصين.

ثم سافرنا من هيلي إلى مدينة جُرفَتن، وبينها وبين هيلي ثلاثة فراسخ، ولقيت بها فقيهاً من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصري، نسبة إلى بلدة على مسافة عشرة أميال من بغداد في طريق الكوفة، اسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب، وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال، له أولاد صغار أوصى إليه بهم، وتركته آخذاً في حملهم إلى بغداد. وعادة أهل الهند كعادة السودان، لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الآلاف، إنما يبقى ماله بيد كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا. وسلطانها يسمى بكويل، وهو من أكبر سلاطين المليبار، وله مراكب كثيرة تسافر إلى عُمان وفارس واليمن، ومن بلاده فتن وبدفتن وسنذكرهما.

وسرنا من جرفتن إلى مدينة دَهْ فَتّن، وهي مدينة كبيرة على خور، كثيرة البساتين، وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول، وبها القلقاس الكثير، ويطبخون به اللحم، وأما الموز فلم أر في البلاد أكثر منه بها، ولا أرخص ثمناً...

ثم سافرنا إلى مدينة بدفتن، وهي مدينة كبيرة على خور كبير، وبخارجها مسجد بمقربة من البحر، يأوي إليه غرباء المسلمين، لأنه لا مسلم بهذه المدينة. ومرساها من أحسن المراسي، وماؤها عذب، والفوفل بها كثير، ومنها يحمل للهند والصين، وأكثر أهلها براهمة، وهم معظمون عند الكفار، مبغضون في المسلمين، ولذلك ليس بينهم مسلم، أخبرت أن سبب تركهم هذا المسجد غير مهدوم، أن أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفاً لبيته، فاشتعلت النار في بيته، فاحترق هو وأولاده ومتاعه، فاحترموا هذا المسجد، ولم يتعرضوا له بسوء بعدها وخدموه،

وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد ، وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير.

ثم سافرنا من مدينة بدفتن إلى مدينة فَنْدَرَيْنا ، مدينة كبيرة ، ذات بساتين وأسواق ، وبها للمسلمين ثلاث محلات ، وفي كل محلة مسجد. والجامع بها على الساحل وهو عجيب ، له مناظر ومجالس على البحر. وقاضيها وخطيبها رجل من أهل عُمان ، وله أخ فاضل. وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين.

انتهى كلام ابن بطوطة.

وقد طلبت من صديقنا الشيخ عبد العزيز تايل أن يعلق على كلام ابن بطوطة هذا بما يوضحه في الوقت الحاضر ، فلم يتوسع في ذلك وإنما كتب ما يلي:

الذهاب إلى مدينة قالقوط من قوله: وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين.....إلى قوله: ولولاهم لما سافر فيه مسلم.

الملاحظة: قد تغيرت الأحوال جذرياً فاندثرت هذه العادات والتقاليد فشت من المسلمين والكفار المعايشة والمؤاكلة ، يدخل بعضهم بيت بعض ، ويأكلون طعامهم.

وقوله: ولا يسافر أحد في تلك البلاد بدابة....

الملاحظة: لا خيل ولا بعير ولاحمير توجد الآن في الشوارع المسفلتة والسيارات تجري فيها وكذلك الشاحنات.

القوانين الحديثة تتبع في عقاب المجرمين مثل السارقين فلا يقتلون بل يعاقبون بالسجن.

وقوله: وفي بلاد الميبار اثنا عشر سلطاناً من الكفار ... إلخ.

ملاحظة: ماليبار الآن منطقة في ولاية كيرالا لا سلطان فيها، النظام الجمهوري يتبع فيها كما في سائر أنحاء الهند، أبناء هؤلاء السلاطين الغابرين يعيشون كمواطنين عاديين لا امتيازات لهم، ولما قضت الحكومة على النظام الإقطاعي هبط مستواهم الاقتصادي والاجتماعي هبوطاً ملموساً.

قوله: سلاطين تلك البلاد يورثون ابن الأخت.....

ملاحظة: نظام الأمومية أعني توريث أولاد الأخت دون أبنائه وبناته اندرج ولا يوجد، الآن يرث الابن أباه حالاً.

قوله: علق على الحوانيت أغصان الأشجار....

ملاحظة: غير موجود حالياً.

أسماء الأماكن:

الاسم القديم	الاسم الجديد	
١- أبي سرور	بَسْرُور	المدن الثلاث المذكورة في ولاية كارناتكا حاليا KARNATAKA STATE
٢- فاكنور	باكنور	
٣- منجرور	مانجلور	
١- هيلى	ايلى مالا	حالياً في ولاية كيرالا
٢- جرفتن	شرى كاندا فورم SRIKANDA PURAMفي مقاطعة كانور	
٣-ده فتن	دار مادام CDHARMADAM في مقاطعة كنور	
بد فتن	ولا فتن (VALA PATTANAM) في مقاطعة كنور فتن أو في الإنجليزية PATTANAH لفظ ملياري معناه المدينة	

وسيأتي تعليق آخر على الأسماء التي ذكرها ابن بطوطة في مليبار عندما ننقل نصاً آخر في حديثه عن تلك المنطقة، ومن ذلك أسماء بعض المدن بعبارة أوضح من هذه.

قول مُحْدَث:

قال الشيخ سليمان الندوي، وهو من أهل جنوب الهند:

قد كان جنوب الهند متصلاً اتصالاً وثيقاً بالجزيرة العربية منذ أقدم العصور بفضل موانيها، وتوافد العرب عليها، وتردد سكان جنوب الهند العرب. فكان لماليبار في ساحل غرب الهند شرف السبق للتعرف على الإسلام واعتناقه، حتى قبل دخول الجيوش الإسلامية للهند، ويذكر أن طائفة من العرب المسلمين وفدوا على ماليبار في طريق بحثهم عن مكان نزول آدم أبي البشر، لما يقال من أنه نزل في الهند أو في سيلان. فلما بلغ ذلك ((سامري))[1] - ملك ماليبار- دعاهم إليه واستضافهم، وأحلهم منزلة كبيرة في بلاطه. ثم عرف منهم أن نبياً بعث في بلاد العرب، دعا الناس إلى الإسلام، وجاء بمعجزات كبيرة، ومنها معجزة شق القمر، فتشوق الملك إلى الإسلام، وإلى رؤية النبي محمد ﷺ، كما آمن به وأخفى

(١)كان يلقب كل ملوك ماليبار بالسامري. فقد أصبح بمثابة العرف لديهم. وهناك اختلاف شديد في تعيين اسمه وتحديد عصره على وجه التأكيد. قالت طائفة من المؤرخين: إنه كان يدعى ((شكرورتي فرماضي)) أو ((شكرورتي فركال)). وقال المستشرقون: إنه ((جيرومن بيرومان)). أما عصوه فقال بعض المؤرخين: إنه عاش في عصر الرسول ﷺ. وقالت طائفة أخرى منهم: إنه عاش في المائة الثانية. وقال المستشرقون: إنه خرج من ماليبار في ٢٥ أغسطس سنة ٨٢٥م الموافق ٢١٠هـ، ووصل إلى ساحل بلاد العرب ٨٢٧م الموافق ٢١٢هـ، ومات ٨٣١م الموافق ٢١٦هـ. وقد أصبح السامري أسطورة لدى شعب الماليبار حتى الآن. ولا يزال يعتقد الماليباريون قدومه، ويقيمون له الاحتفال. (انظر للتفصيل كتاب ((رجال الهند والسند)) ص١٣٠-١٣٦، نقلاً عن كتاب ((تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المعبري)).

أمره، ثم استعد للسفر إلى بلاد العرب برفقة هؤلاء العرب، وعندما كانوا في سفنهم في رحلتهم الطويلة إلى الحجاز أصابه مرض شديد، لم يكن هناك أمل من شفائه منه، فأوصى أصحابه وهم: شرف بن مالك، ومالك ابن دينار، ومالك بن حبيب ألا يؤجلوا سفرهم عقب وفاته، ثم كتب وثيقة إلى أهله وذويه في ماليبار، ونصحهم فيها بإخفاء أمر مرضه ووفاته على شعب ماليبار، ولذا أصبح اسمه أسطورة لدى الهندوكيين في ماليبار حتى هذه اللحظة.

فلما لقي الملك حتفه، عاد أصحابه إلى ماليبار ليبلغوا وصاياه إلى أهله، فرحب بهم أهله، ومنحوهم أرضاً شاسعة، وأعطوا لهم تسهيلات كبيرة ليستوطنوا أراضي ماليبار، ويشيدوا فيها مساجد الله.

ولما شملت الفتوحات الإسلامية معظم البلاد في قارتي آسيا وإفريقيا، فكر العرب لأول مرة في أمر الهند. يحدثنا ابن قتيبة: أن عمر بن الخطاب قال: من يخبرنا عن قندابيل؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل، إن كان بها الكثير جاعوا، وإن كان بها القليل ضاعوا. قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بعثته إليها أبداً[1].

وفي خلافة علي بن أبي طالب، أمر علي ﷺ الحارث بن مرة العبدي بغزو الهند، فخرج الحارث في عام ٣٨-٣٩هـ.

كيرالا: أرض البهار:

عرف أسلافنا العرب بلاد المليبار بأنها بلاد الأفاويه والبهار، ونوهوا من ذلك بالفلفل أكثر مما نوهوا بغيره من الأفاويه. ولذلك قال ياقوت في معجم البلدان: إنها أرض الفلفل.

(١) قندابيل في معجم ياقوت مدينة بالسند. الوشل: الماء القليل، الدقل: التمر الرديء.

ولذلك نجد أن أسماء كثير من الأفاويه والبهار التي نعرفها في العربية مأخوذ من اللغة السنسكريتية التي هي الهندية القديمة. مثل كلمة: (فلفل) فهي فيها (ببل)، والزنجبيل: شرنجبيل، والصندل الذي هو عطر معروف (سندانم)، والمسك: (ماسك)، والقرنفل: (كرانبو)، وبو: معناها في تلك اللغة: زهرة، وكافور أصلها في لغتهم: (كربورم)، حتى الأرز هو فيها (أرس).

وهناك غير الأفاويه، أسماء حيوانات من الحيوان الذي يعيش في الأماكن المطيرة المعشبة، كالفيل فهو فيها: (بيلا)، وبعض الحمضيات مثل النارنج ينطقون باسمه (نارنكاه).

والقائمة طويلة، لا يحتاج المرء إلى إيرادها كلها، ولكننا نذكر بما هو معروف من كون الأوربيين كانوا عرفوا أن الأفاويه والأبازير، وعلى رأسها الفلفل، إنما تجلب من بلاد الهند الجنوبية، لذلك جعلوا يلتمسون إليها طريقاً أقرب من الطريق المعتاد في تلك الأزمان الذي كان لا بد له من أن يمر بالبلدان العربية، وذلك قبل فتح قناة السويس، بل قبل أن يهتدي الأوربيون إلى الدوران حول القارة الإفريقية من عند رأس الرجاء الصالح.

وقد ذهبوا مدفوعين إلى ذلك الدافع جهة الغرب، على أمل أن يجدوا طريقاً أقصر يصلهم بالهند، لمعرفتهم بأن الأرض كروية، وبهذا الدافع جهزوا حملة كريستوفر كولومبس التي أدت إلى اكتشاف العالم الجديد، ولذلك عندما وصل إلى جزائر البحر الكاريبي الواقع بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية أسماها جزائر الهند الغربية، ظناً منه أنه وصل الهند، وقد استمرت هذه التسمية قروناً من الزمن، رغم معرفتهم بعد ذلك أنها بعيدة عن الهند بعد الهند عن أوروبا أو أكثر من ذلك.

ولدافع الحصول على البهارات والثروات الأخرى، غزا الأوربيون الهند، وكان أسبقهم وصولاً إلى هذا الساحل الجنوبي الغربي البرتغاليين، يدلهم إلى ذلك دليل عربي نجدي هو الملاح أحمد بن ماجد.

ولا نزال نستورد منها البهارات، وخاصة الفلفل الأسود والهيل.

وبلاد اللغة العربية:

تكاد ولاية (كيرلا) تعتبر بلاد اللغة العربية في الهند، لكونها تضم أكبر عدد ممن يعرفون اللغة العربية أكثر من أية ولاية هندية أخرى مماثلة لها في عدد السكان، وكل أولئك هم من الذين تعلموها تعلماً، حيث لا يوجد أحد ممن لغته الأصيلة هي العربية.

ولذلك يجد المرء أن نسبة الذين يعملون في دول الخليج العربية من أهل كيرلا تفوق نسبة أية منطقة أخرى في الهند.

وقد قررت حكومة كيرلا، وهي حكومة غير إسلامية، بمعنى أن القائمين عليها ليسوا بأكثريتهم من المسلمين، اعتبار اللغة العربية لغة رسمية ثانية، ووظفت أعداداً من معلمي العربية والدين الإسلامي في مدارسها يزيدون على عشرة آلاف مدرس.

وليس ذلك فحسب، وإنما يفاجأ الزائر لهذه البلاد الملیبارية، وهذه نسبة مألوفة لنا نحن العرب، أما إن نسبناها إلى اسمها الرسمي الحديث كيرلا قلنا: إنها البلاد الكيرلية، وهذه نسبة ثقيلة غير مألوفة لأبصارنا وأسماعنا، نقول: إن الزائر لها يفاجأ بكثرة ما يجده فيها من المدارس والمعاهد ودور الأيتام التي تدرس الدين الإسلامي واللغة العربية، وبالتالي يرى ما لم يكن يعرفه من عدد الناطقين بالعربية فيها.

وقد قابلت عدداً من المتبحرين بالعربية من أبناء هذه البلاد، فرأيتهم

يحفظون الأشعار العربية، ويتتبعون المؤلفات التي تنشر فيها أكثر مما يفعله كثير من بني قومنا العرب، ولذلك يطارحوننا تلك الأشعار، ويذاكروننا في كتب التراث العربي، فلا يشعر المرء عندهم بالغربة، وهذا من أمرهم عجيب.

والأعجب منه أن فيهم شعراء بالعربية، وصل بعضهم في إجادة نظم الشعر إلى رتبة الشعراء العرب، وطرقوا أبواباً عديدة من أبواب الشعر وأغراضه المتنوعة، من ذلك أن أحدهم وهو الأديب أحمد بن كونجى أحمد كوني أعطانا ديواناً صغيراً له مطبوعاً، فيه بعض القصائد بلغة عربية فصيحة، وبملكة شعرية جيدة، وسماه: قصائد في أماجد، ومنتظمة ذات فوائد...

انتخبت منه ما يأتي:

في الحماسة:

نأبى أن نهون

يـــهودُ زمانَنـــا متوهّمونـــــا بفرط الجـــهل أنّـــا واهِنونـــا
ولكنـــا بنـــي الإســـلام أسْـــدٌ وهم ذؤبـــانُ غـــابٍ يعْتوينـــا
وإن العـــالمين بجنبكـــم يـــــا صهاينـــة اليـــهود لعالمُونـــا
أما قلتم لموسى: ((إننـــا مـــن جبـــابرة الأعـــادي خائفونـــا
فأنت وربُّك ارتحـــلا وصُـــولا على الأعداء إنـــا قاعدونـــا))
وإذْ كُتب الوغَىمن بعد موســى عليكم لـــم تزالـــوا تَفْزعونـــا
فيا جبناءُ من جالُوت[1] خفتـــم كفـــيران رأتْ قطـــاً ســـمينا
لما ارتعدتْ فرائصُكم نكَصْتـــمْ علـــى أعْقـــابِكم متذلِّلينـــا
ألستُمْ أمّـــةً ظَلَمـــتْ فبـــاءَتْ بلعْنَـــةِ ربِّكـــم واللاَّعِنينـــا؟
ألمْ يَجعلْ إلهُ العـــرشِ منكُـــم لِظُلمكُـــمُ قُـــروداً خاسِـــئينا
ألسنا نحنُ حـــزبَ اللهِ طُوبَـــى لحـــزبِ اللهِ إذْ هُـــم فائزونـــا
ألاَ تَـــدْرون أنّـــا أمّـــةٌ قـــدْ عَلَتْ شأنا تُدانُ ولَـــن تَدِينـــا
فنأبَى أنْ نهونَ ونَرتضِي فـــي سبيلِ العِزِّ والمَجـــدِ المَنُونـــا
أيكْرهُ مِيتَـــةَ الشُّـــهَداءِ قـــومٌ لإحدَى الحُســـنيينِ يجاهِدونـــا
فما أحْلى المَنِيَّةَ إنْ تكنْ فـــي ســـبيلِ اللهِ ربِّ العَالَمينـــا
ألسنا القَاهِرينَ جنودَ كِسْـــرَى وعَسْكرَ قيصـــرَ المتدججينـــا
فمرتـــعُ مـــن يُقاتِلُنـــا وَخِيـــمٌ فلا يقْـــرُبْ إليـــه الرَّاتِعُونـــا
أأمنيّـــاتُكُمْ غَرَّتْكُـــمُ يـــا يهودُ بِنـــا، أفينـــا تَطْمَعونـــا؟

(١) في الأصل: طالوت، والمعروف عند المؤرخين أن طالوت هو ملكهم،والذي خافوا منه هـــو جـــالوت زعيم العماليق.

فكيفَ إذا أتـــت يومـــاً ذئـــابٌ ... لكيما تغـــزوَ الأُســـدُ العرينـــا
عسَى دكُّ الرَّواسَي كلّـــها أن ... يهونَ عليكُـــمُ لـــو تربحونـــا
ولكـــنْ زحفُكُـــمْ يومـــاً إلينـــا ... بأضعافٍ أشـــقُّ فلـــن يـــهُونا
فإن قاتلتمونـــا لـــم تمُوتُـــوا ... وعندكـــم الأهـــالي والبنونـــا
فلســـتم راجعيـــن ذَوِي حيـــاةٍ ... إلـــى الأهلِيـــنَ إنْ قاتلتمُونـــا
إذاً بوُقـــوعِ صاعقـــةٍ أُصِبتُـــم ... مفاجـــأةً فـــأنَّى تَسْـــلَمونا
ونحنُ وإنْ نكُنْ رســـلاً لأمْـــنٍ ... فلم يكُ مِنْ جبـــانٍ قـــطُّ فِينـــا
وما مِنْ دأبِنـــا قـــطُّ اعتـــداءٌ ... على من لم يكونـــوا ظالمينـــا
ولكنَّـــا أشـــدُّ النـــاسِ بأســـاً ... على من هم علينـــا مُعْتدُونـــا
فمطـــرة مدافعُنـــا عليـــهم ... ففي طوفانـــها هـــم مُغْرَقونـــا
حلائـــلُ مـــن غَزَانـــا أيِّمـــات ... وأيتـــامٌ بنُـــو مَـــنْ حارَبونـــا
فما أحْـــرَى قتـــالَكُمُ لنـــا يـــا ... يـــهودُ بوَيْلِكـــم لـــو تعقِلونـــا
إذا قاتلتمونـــا غـــزوةً يـــا ... يـــهودُ لقيتُـــمُ مـــا تَكرَهُونـــا
فنقريكُمْ أمرَّ كـــؤوسِ حتـــفٍ ... فمنـــها كلُّكـــم مُتجرِّعونـــا
فحينئـــذٍ أيـــا أجنـــادَ هـــودٍ ... تعضُّـــون الأنـــامِلَ نادمينـــا

وقال في رثاء الملك فيصل:

مرثية للمغفور له صاحب الجلالة الملك المعظم السابق فيصل بن عبد العزيز آل سعود، نوّر الله مرقده:

بسم الله الرحمن الرحيم

عيني تجـــود بعَـــبْرةٍ مِـــدْرارِ ... فكأنَّ مَجرى الدمع نَهْرٌ جـــارِ
وتبيتُ عيني لا تنامُ فمُقْلَتـــي ... تشْكو تألُّمَـــها بطُـــولِ سُـــهَارِ

وتذوبُ كِبْدِي ما أشَدَّ مُصيبـــةً ... نزلَتْ بنا شَابَتْ لَها أشْـــعاري
كمْ مِنْ صديقٍ مُكْثِرٍعَذَلِي علـى ... سَكْبِي الدُّموعَ كصَيِّبِ الأمْطـارِ
ويحاً لهُ هلْ ينجَلي هَمُّ امـــرئٍ ... مِثْلي بِلَوْمِ العـــاذِلِ المِكْثـارِ؟
أمْ هلْ على مَنْ قَدْ أذَابَ فُـؤادَهُ ... نَارُ الكآبةِ في البُكا مِنْ عَـــارِ
لَوْذُقتَ عُشْرَمُصيبَتِي ياعَـاذِلي ... لذَهَلْتَ عن أهلٍ بِـــهِ وذَراري
فَجلالَةُ المَلِكِ المُعَظَّـمِ فَيْصَـلٌ ... أضْحَى فَريسةَ أهْوَلِ الأخْطـارِ
قُتِلَ الهُمامُ الشَّهْمُ فَيْصَلُ إنَّنـــا ... للهِ والرُّجعَـى إلـى الجَبَّـارِ
مَنْ حَامِيَ الحرَمَيْن كان وحاكماً ... عدلاً عظيمَ الجـــاهِ والمِقْـدارِ
في خير مَمْلَكَةٍ كتـــابُ إلَـهنا ... دُسْتورُهَا وصحيحَـةُ الأخبَـارِ
قد كان يحكُمُ دائمـــاً بكِلَيْـهما ... في الحادثاتِ مُشَاوِراً لِخيَـــارِ
وعَلَى رعيَّتِهِ يقـــومُ ويَعْتَنـــي ... بأمورِهِمْ معَ غايَةِ اسْـــتِبْصَارِ
كانَتْ صهاينَةُ اليهودِ بأسْـرِهِمْ ... في هَيْبَةٍ من فيصـــلَ المِغْيَـارِ
ولَقدْ تميَّزَ عن رُعـــاةِ زمانِنـــا ... بوجاهـــةٍ وبهَيبـــةٍ ووَقَـــارِ
واهاً لفيصلَ إنه هُـــوَ بَيْنَـــهُمْ ... قد لاحَ مِثْلَ البدرِ بيـــن دَرَارِي
تاللهِ قد كان الفقيـــدُ مجـاهِداً ... في اللهِ ذَا عَلَـــنٍ وذَا إسْـرارِ
لِعُلُوِّ دينِ اللهِ جـــاهد مُخْلِصـاً ... كمهاجِرِي الأصحابِ والأنصـارِ
قد كانَ يحْذُو حَذْوَ إبراهيـــمَ إذْ ... أضْحَى يوَجِّهُ وجْهَـــهُ لِلْبـارِي
وغَـــدا حَنيفـــاً مُسْـــلِماً للهِ ذَا ... زُهْدٍ وذَا تَقْوَى وذَا اسْـــتِغْفارِ
وقيامُـــهُ وصيامُـــهُ وحياتُـــهُ ... ومَمَاتُـــهُ لِلْوَاحِـدِ القَـــهَّارِ
بَرْدٌ لَهُ ما فيه يُلْقِيـــهِ العِـدَى ... إبَّانَ يَدْعُو لِلْـــهُدَى مِـــنْ نَـارِ
وَجَدَ الفقيدُ بِكُلِّ مَمْلكـــةٍ بَنِـــي ... دينِ الهُدَى حَارُوا بتِيهِ قِفَـــارِ
ولَقدْ رآهُمْ قَدْ تَشتَّتَ شَـــمْلُهُمْ ... وبِلَمِّهِ لَـــمْ يُعْـنَ مِـــنْ دَيَّـارِ
فالمُسلِمُونَ بيادق الشِّطْرَنْجَ فـي ... يَدِ لاعِبٍ أوْ هُمْ سِـــهامُ قِمَـارِ

أوْ هُمْ بفُلْكٍ بينَ عاصِفَـةٍ بِـهِ تتقاذَفُ الأمواجُ وَسْـطَ بِحَـارِ
والْعُرْبُ في كلِّ المَمَـالِكِ نُـوَّمٌ والسَّاحُ غَصَّتْ بالعِـدَى الأشْرارِ
فكأنَّ كُلاًّ من بني الإسلامِ مِـنْ غير اهْتداءٍ في الدياجِرِ سَـارِ
إذْ هُم حَيَارَى لاحَ نَجْمٌ ضَاءَ فـي فَلَكِ ((الرياضِ)) بألْمَعِ الأنْـوَارِ
للنَّيِّرَيْنِ غَدَا نَظِـيراً يَـهْتدِي بِسناهُ كُلٌّ مِنْ ذَوِي الأبْصَـارِ
بثلاثةٍ ضاءَ البَسِـيطُ بِفَيْصَـلٍ والبَدْرُ في فَلَكٍ وشمسِ نَـهارِ
نادَى الفقيدُ المسلمينَ مُيَقِّظـاً لهُمُ وصاحَ بِهِمْ:((حَذارِ حَذارِ))
وعَلَى التَّآخِي والتَّعَاوُنِ حثَّـهُمْ ونَهَاهُمُ عن فُرْقَـةٍ وتَمَـارِي
أعْظِمْ برابطَةٍ[1] بِمكَـةَ مَلجـأً لِلْمُسْـلمينَ بـأجْمَعِ الأقْطَـارِ
هي بنتُ فِكرَتِهِ لينجُوَ مُسـلِمُو كُلِّ المَمَالِكِ مِنْ رَدَىً وشَـنَارِ
نظم الفقيد بها الإسلامِ فـي سِلْكِ اتِّفـاقٍ مُحكَـمِ الإمْـرارِ
يا وَيْلَنـا إنَّ المنِيَّـةَ أنْشَـبَتْ في فيصَلٍ ما حَدَّ مِـنْ أظْفَـارِ
أضْحَى فريسةَ بندُقِيَّـةٍ غـائِلٍ قاسِي الفؤَادِ عنِ المكارِمِ عـارِ
آهٍ أُصيبَ فُجـاءَةً برصَاصـةٍ مَنْحُوسةٍ تَبَّـتْ يَـدَا الخَتَّـارِ
قُتِلَ الفقيدُ كما أُصيبَ بِطعْنَـةٍ عُمَرُ الخليفَةُ صاحِبُ المُخْتَـارِ
قُتِلَ الفقيـدُ كثَـالِثٍ أو رَابِـعٍ من راشِدِي خلفائِـهِ الأخْيَـارِ
أضْحَى شهيداً في سـبيلِ اللهِ إذْ قُتِلَ اغْتيالاً وَهْوَ مِـن أبْـرَارِ
ما كانَ أسْعَدَهُ بفَضلِ شَـهادَةٍ فمـبرَّأٌ أضْحَـى مِـنَ الأوْزَارِ
فجلالَةُ المَلِكِ المُعَظَّمِ إذ نُعِـي نَدَبَ الجميعُ بحسْـرَةٍ وبَـوَارِ
وغَدَوْا كَما فُجِئُوا بِصاعِقةٍ فَكَمْ مِنْ مِعْوَلٍ فيها وكَـمْ مِحْيَـارِ
فلِفَيصَل اغفِرْ ربَّنَـا وارْحَمْ أَمِينْ رَحمـانَ إلاَّ أنْـتَ أو غَفَّـارِ؟

(١) يريد رابطة العالم الإسلامي التي مقرها مكة المكرمة.

في جَنَّةِ المَأْوَى ابْنِ عِنْدَكَ ربَّنَا بَيْتـاً لَـه ذَا زِينـةٍ وفَخَـارِ
أكثِرْ لوِرَّاثِ الفقيدِ الخَـيرَ يَـا رَبَّ البَرِيَّـةِ أيَّمـا إكْثَـارِ
وجَلالَةَ المَلكِ المُعَظَّـمِ خـالداً خَلَفَ الفقيدَ قِـهِ كَيـدَ شِـرارِ
واحفَظْهُ يَا رَبِّي وأيِّـدْ مُلْكَـهُ سَدِّدْ خُطاهُ بـدونِ أيِّ عِثَـارِ

وفي تهنئة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز آل سعود؛ عاهل المملكة العربية السعودية:

تـهَنَّأْ يـا إمـامَ المُسْـلِمِينا أيا مَنْ يحفـظُ البلَـدَ الأمِينـا
أخالِدُ حامِيَ الحرميـن أعظِـمْ بقَدْرِكَ في العبـادِ الصَّالِحِينـا
نُصِبتَ لِدَوْلَـةٍ مَلِكـاً جَلِيـلاً وجيهاً بَـلْ أمـيرَ المؤْمِنِينـا
بِمَهْبِطِ وحْـيِ خالِقِنـا أمِـيراً غَدَوْتَ لِما غَدَوْتَ بِـهِ قَمِينـا
كِتـابُ إلَـهِنَا دَسْـتُورُ حُكْـمٍ لَدَيْكَ وهَدْيُ خَـيْرِ المُرْسَـلِينا
وتَحكُمُ أنتَ مُتَّبِعاً خُطَـى مَـنْ مِنَ الخلفا مضوا والرَّاشِـدِينا
وفي حِفْظِ الرَّعِيَّةِ أنـتَ لَيْـثٌ لَدَى أشْـبالِهِ يَـأْوِي العَرِينـا
وإنَّكَ مُشْـفِقٌ كَـأبٍ عَلَيـهِمْ وهُمْ لَكَ في الإطَاعَةِ كَالبَنِينـا
فَهُمْ راضُونَ عَنكَ وأنتَ أيضـاً رضٍ عَنْهُمْ تَراضِي مُخْلِصِينـا
فَهُمْ قالُوا: « بخالقنا رَضِينـا لنَـا ربَّـاً، وبالإسْـلامِ دِينـا
ونَحْنُ بـأحْمَدَ الـهادِي نبيـاً لَنَا وبخَـالِدٍ مَلِكـاً رَضِينـا »
بِحَسْبِكَ أنْ غَدَا مَلَـكٌ وجِـنٌّ وإنْـسٌ كُلُّـهُم بِـكَ مُحْتَفِينـا
وظِـلُّ اللهِ فيـهِ تُظَـلُّ إذْ لاَ يُرامُ سِـوَاهُ فـي المُتَظَلِّلِينـا
فإنَّكَ – لاَ مَحَالَـةَ – للرَّعَايـا إمـامٌ عَـادِلٌ عَـدْلاً مُبِينـا
وتُنْفِقُ فـي سَـبِيلِ اللهِ مِمَّـا تُحِبُّ كـذاكَ خَـيْرُ المُنْفِقِينـا
عَطَا يُمْناكَ عَنْ يُسْراكَ يَخْفَـى ولاَ تَرْجُو شُـكُورَ الشَّـاكِرِينا
وأنْتَ تَخَافُ يَوْمـاً قَمْطَرِيـراً عَبُوساً مِـنْ إلَـهِ العَالَمِينـا

يَمِينُكَ وابِلٌ يَسْـــقِي ويُـرْوِي ... قاصدِينَ إلى النَّدَى متعفِّفينـــا
فما في الأرضِ قُطْرٌ لَيسَ فِيـهِ ... مُؤَسَّسَـةٌ تَظَـلُّ لَـها مُعِينـــا
أخَالِدُ أنـــتَ ذُو حَـظٍّ عَظِيـمٍ ... مَلَكْتَ قُلُـــوبَ كُـلٍّ أجْمَعِينـــا
فلَمْ تُصبِحْ غَليظَ القَلْـبِ فَظّـاً ... ولكِـنْ لِنْـتَ لِلأَقْـوامِ لِينـــا
وليسَ لِذِي التَّكَـــبُّرِ أيُّ قَـدْرٍ ... لَدَيْـكَ وتُكْـرِمُ المُسْـتَضْعَفِينا
كأنَّ المُسْلِمِينَ جَمِيعَـــهُم مِـنْ ... رَعايَـا يَنْصَحُونَـكَ طَائِعِينـــا
فَيَدْعُـو كُلُّـهُمْ رَبَّ البَرَايـــا ... لِعِـزِّكَ والعُـــلاَ مُتَبَتِّلِينـــا
وهُمْ يَدْعُونَ كَيْ تَحْيَى سَـلِيماً ... وتَنْجُو مِنْ شُرُورِ المُفْسِـدِينا
وتُصْبِحَ فِي الخطى أهدى سَبِيلا ... بِـلاَ زَلَـلٍ وأَسْـعَدَ فَائِزِينـــا
لَكَ البُشْرَى ودَعْـوَةُ كُـلِّ دَاعٍ ... وأصْـدَقُ تَـهْنِئَاتِ مُـــهَنِّئِينا
تَهانِئُ مِنْ خَلُوصِ قُلُوبِهِمْ يَـــا ... حَبِيبَ الناسِ فَخْرَ المُسْـلِمِينا
فإنْ في خَـــيْرِ مَمْلَكَـةٍ إمامَـــاً ... غَدَوْتَ غَدَا جَمِيـعٌ مُرْتَضِينـــا
رَعاكَ اللهُ يَا مَنْ كَـــانَ أوْلَـى ... مِثَـالٍ لِلرُّعَـــاةِ العَادِلِينـــا
لِتَرْقَ بِلادُكَ الطُّـــهْرَى وفِيـــها ... رَغِيدٌ عَيْـشُ كُـلِّ السَّـاكِنِينا
لِتَبْـقَ مَنَـــارَ إسْـلامٍ وعِلْـــمٍ ... ومنبعَ ثَـــرْوَةٍ طُـولَ السِّـنِينا

ويقول في الثناء على الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله -:

مدح صاحب المعالي الشيخ عبد العزيز بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، في المملكة العربية السعودية، حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أنْجَبَتْ بَلْدَةٍ فِي الأرضِ إنسلناً ... مِثْلَ ابنِ بازٍ بأنْقَى الهَدْيِ مُزْدَانـــا
فَذُو المعَالِي ابنُ بازٍ إنَّه هُوَ مِـنْ ... مُقَرَّبِينَ إلى ذِي العَرْشِ مَوْلاَنَـــا

ما كانَ أمْجَدَهُ ما كـــانَ أشْـــرَفَهُ ... ما كانَ أمْهَرَهُ عِلمـــاً وعِرْفانـــا
لامِثْلَ في الأرضِ في هذا الزَّمان لـــهِ ... إذْ فاقَ في النُّبْـــلِ والعِرْفـــانِ أقْرَانـــا
اللهُ آتاهُ عِلماً مِـــنْ لَدُنْـــهُ فَمـــا ... أعْلاهُ عِلماً ومـــا أقْـــواهُ إيمانـــا
يهدِي ابنُ بازٍ إلى نهجِ السعادة مـــن ... يَتِيهُ فـــي ظُلُمـــاتِ الجَـــهْلِ حَيْرَانـــا
فذُوالمَعالي ابنُ بازفي سماءِ هُدَىً ... شَـــمْسٌ تُنَـــوِّرُ آفاقـــاً وبُلْدانـــا
أعْظِمْ بأخْلاقِهِ الحُسْنَىفمَنْ يكُ عـــن ... أخلاقِـــهِ ســـائلاً فَلْيَتْـــــلُ قُرْآنـــا
في هَدْيِهِ هُو مُسْتَنٌّ بِسُـــنَّةِ مَـــنْ ... غَدا رسُولَ الهُدَى مِنْ وُلْدِ عَدْنانـــا
حَياتُـــهُ كَكِتـــابٍ يُسْـــتفادُ بِـــــهِ ... فِيها يَرى الناسُ للإسلامِ تِبْيانـــا
هَدْيُ ابنِ بازٍ بِهِ إبْلِيسُ ذُو حَـــزَنٍ ... إذْ لِلْبرايَا بِهِ نَـــهْجُ الـــهُدَى بَانـــا
وَاهاً لجامِعَةٍ كالبَدْرِ تَظْهَرُ فـــي ... مدينةِ المُصطَفَى أعْظِمْ بِها شَـــانا
كأنَّها مَوْرِدٌ مـــا كـــانَ أعْذَبَـــهُ ... يَعـــودُ وَارِدُهُ العَطْشـــانُ رَيَّانـــا
كأنَّها مَوْرِدٌ مـــا كـــانَ أعْذَبَـــهُ ... يَعـــودُ وَارِدُهُ العَطْشـــانُ رَيَّانـــا
أوْ جَنَّـــةٌ ذاتُ أثْمـــارٍ مُلَوَّنَـــــةٍ ... دانٍ جَنَاها لِمَنْ يَرْجُوهُ جَوْعَانـــا
فَمِنْ جميعِ نواحي الأرضِ يقصدها ... طُـــلاَّبُ عِلْـــمٍ زُرَافـــاتٍ ووحْدانـــا
وَذُو المَعَالي ابنُ بازٍقَد غَدا زَمَنَـــاً ... رَئيسَها إنَّـــــه زَيْنـــاً لَـــها كَانـــا
فَكَمْ أتَوْها وهَذا الشيخُ مَأْمَلُـــــهُمْ ... إذْ بَحْرُ حِكْمَتِهِ قَـــدْ كـــانِ مَلآنـــا
جاؤوا ليغْتَرِفوا منْ بَحْرِ حِكْمَتِـــهِ ... ويُخْرِجُوا منـــهُ دُرَّاتٍ ومَرْجَانـــا
لم يبرحوا قارئي علم عليه لكـــي ... يَبنُوا منَ المجدِ والعلياءِ بُنيانـــا
فَكَمْ تَخَرَّجَ فيها من ذَوي حِكَـــمٍ ... صَاروا بكلِّ فُنونِ العلمِ فُرســـانا
فيستَحقُّ ابنُ بازٍ إذْ هُمُ اقتَبَسُـــوا ... مِنْ نورِهِ نورَهُمْ لا شكَّ شُـــكْرانا
وتَبْتَهي دارُ إفْتـــاءٍ بـــهِ فَلَقَـــدْ ... صارتْ بإشْـــرافِهِ تمتـــدُّ أفْنانـــا
صارتْ تُمِيلُ عُيونَ الناس نضرتُـــهُ ... وأصْبحتْ تُخْـــرِجُ الأثْمـــارَ ألْوانـــا

جاهدوا في الله

هُبُّوا فطالَ على الرُّقَـــادِ زَمَـــانُ ... لا تَغْفُلُـــوا فسَـــيَنْدَمُ الغَفْـــلانُ
عَنْ حَوْضِ دينِ الحَقِّ ذُودُوامثلمـــا ... ذَادَ النبـــيُّ وصحْبُـــه الفُرْســـــانُ
جِدُّوا لفتحِ المسجدِ الأقْصَـــى، ألاَ ... يُغْرِي ضمـــائركُمْ بـــه الإيمـــانُ
أنَّى لكم–والقُدسُ في أيدِي عِدىً ... هُمْ هاتِكو حُرُماتِها – اطمئْنـــانُ
أفلا تُذكِّرُكُمْ شهورُ الحَـــجِّ مَـــنْ ... بـــالحجِّ نـــادَى أيُّـــها الإخْـــوَانُ
أعني خليلَ اللهِ كـــانت رُوحُـــهُ ... للهِ رَبِّ العـــرشِ والجُثْمَـــانُ
قد كانَ أحْسنَ أسوةً في هَدْيـــهِ ... للنَّاسِ إذْ مِنْ طبعِـــهِ العُرْمَـــانُ
في اللهِ جاهدَ صـــابِراً ومُثـــابِراً ... ثَبْتـــاً فمـــا إنْ مَسَّـــهُ خِـــذْلانُ
يا ربَّنا ندعـــوكَ إنَّـــك حسْـــبُنا ... وعَليـــكَ مِنَّـــا ربَّنـــا التُّكْـــلانُ
يا ربَّنا انْصرْنا علـــى أعدائنـــا ... وامنُـــنْ علينـــا إنَّـــكَ المَنَّـــانُ
يسِّرْ لنا أن نَسْتَردَّ القُدسَ مِـــنْ ... قومٍ قـــدِ احْتلُّـــوهُ يـــا رحْمَـــنُ
هُبُّوا فأخشَى أن يَحينَ هَلاكُكُـــمْ ... ويصيبكُم يـــا مسـلمونَ هـــوانُ
كمْ منْ عدوٍّ حَوْلكُـــم مُـــتَربِّصٍ ... بكُـــمُ الدوائـــرَ قلبُـــهُ يقظـــانُ
يسعَى أولئكُمُ العُـــداةُ جـــهودَهُمْ ... للكيـــدِ بالإســـلامِ أنَّـــى كـــانُوا
فمِنَ الأولى هُمْ دائنـــونَ بغـــيرِهِ ... يبدو عليه البُغـــضُ والعُـــدوانُ
هدفُ الملاحِدةِ الشديدُ عنـــادُهُمْ ... أنْ تَضْمَحِـــلَّ بأســـرِها الأدْيـــانُ
لإماتَـــةِ الإســـلامِ ينفُـــثُ كلُّـــهُمْ ... سُـــمَّ الفســـادِ كأنـــه ثُعبـــانُ
قد شَوَّهَ الإســـلامَ قـــومٌ مثلمـــا ... فعلـــتْ بنصرانيـــةٍ رُهْبـــانُ
صبغُوهُ بالبِدَعَاتِ بئستْ صِبغَـــةً ... فَبِها تَشَـــوَّهَ وجهُـــهُ المُـــزدانُ
هبُّوا إذِ الإلحادُ فاشٍ بيـــن مَـــنْ ... في عصرِنا والشِّرْكُ والعِصْيـــانُ
وعبـــادَةُ اللهِ المـــهيمِنِ وحـــدَهُ ... قَلَّـــتْ وقـــلَّ الـــبرُّ والإحسَـــانُ

فادْعُوا إلى اللهِ الأنـــامَ وكُلُّكُـمْ ... في حِكْمـــةٍ ونصيحـةٍ لُقمـانُ
ليكُنْ كما أمـــرَ الإلَـــهُ جِدالُكُـمْ ... وادْرُوا بـأنَّ إمامَنـا القـــرآنُ
في اللهِ – صفاً – جاهِدُوا كبنايَـةٍ ... مرصوصَةٍ لا يُغْوِكُـــمْ شَـيطانُ
إنَّ البخيلَ عنِ الجـــهادِ بنفسِـهِ ... أو مالِـــهِ مِنكـمْ هـو الخَـوَّانُ
إذْ مِنكُمُ اللهُ اشـــتَرَى أمْوالَكُـمْ ... ونُفوسَكُم ولكُـــمْ بـذاكَ جِنـانُ
فبِما عليكُمْ مِنْ حُقـــوقٍ فِيـهما ... لِلمُشتري أوْفُـــوا ولا تَخْتـانُوا
بهما لوَجْهِ اللهِ ضَحُّوا تَسْـــعَدُوا ... فمنَ الجحيمِ لكُـمْ بـذاكَ أمـانُ
نِعْمَ الجزاءُ جزاءُ كـــلِّ مُجـاهِدٍ ... بـــهما جِنـانُ اللهِ والرِّضـــوانُ
نِعْمَ الجِنانُ فإنَّ فيـــها كُـلَّ مـا ... لِيَطيبَ عَيْشاً يَشـــتَهِي الإنســانُ
ما لا رأَتْ عَينٌ ولا سَمِعَتْ بِـــهِ ... أذُنٌ ولَـمْ يَخْطُرْ لَـهُ قَـطُّ جَنَـانُ

وحتى فن الهجاء طرقه شعراء كيرالا بالعربية، كما قال أديب آخر من أهل كيرالا، وهو المولوي محمد بن ميران البوليكلي في هجاء قرية في كيرالا، وقد حذفنا بيتين من القصيدة فيهما ذكر القرية المذكورة:

قال المولوي محمد بن ميران البوليكلي الميباري المغفور له، وهو يهجو قرية:

ما كانَ أتْعَسَها ما كان أنْحَسَـها ... ما كانَ أبْأسَها ما كانَ أشْـقاها
عجِبْتُ كيف نجت من رجفةٍ أخذت ... أهلَ القُرُونِ التي ضلَّتْ بِطَغْوَاهـا
فإنَّها قريـــةٌ أخْلاقُـها فَسَـدَتْ ... إبليسُ سَيِّدُها الرَّاعِي ومَوْلاهـا
السُّحْتُ مأكلُها والخَمْرُ مشْـــرَبُها ... واللَّعْبُ مكْسَبُها والبَغْـيُ مَلْـهاها
سـفينةٌ مرفـأُ الأمـوالِ غايتُـها ... وباسْمِ قارونَ مَجراها ومُرسَـاها
تفُوقُ في البخلِ أنطاكِيةً مَنَعَـتْ ... قِرَى نَبِيَّيْنِ جاعَا حيـن جاآهـا
مَنْ حلَّها لم يجِدْ فيها له أنَسـاً ... وحالُه حالُ من في مَهْمَهٍ تَاهـا
أسْـواقُها لا تُـرى إلاَّ مُمَـلأَةً ... بضائعَ الزَّيْفِ لا يشْرُونَ إلاَّهـا

تُجَّارُها تاؤُهُمْ فاءٌ فحَيْثُ عُنُوا ... يُعْفَى بتحريفِها تَالٍ إذَا فَاهَا
والسَّاكِنُوها شَياطينٌ فلاَ جَمَلٌ ... للخيرِ فيها ولا نُوقٌ وسُقْيَاها
قَومٌ قدِ انْتَزَعَ اللهُ المكارِمَ مِنْ ... أخلاقِهِمْ فَغَدَوْا لِلْوَحْشِ أشْباها
لا يَطْمَعُونَ سِوَى الدُّنيا ولَذَّتِها ... ولا يَرُومُونَ إلاَّ الأَكْلَ والبَاهَا
هُمُ البَهائِمُ إلاَّ أنَّهُمْ بَشَرٌ ... شَكْلاً ونُطْقاً وأعضاءً وأفْوَاهَا
ولا إلَهَ لَهُمْ إلاَّ النُّقُودُ فَلاَ ... يَأْتُون مِنْ نُسُكٍ إلاَّ لِزُلْفَاهَا
لَبِئْسَ أمْوالُ مَنْ كانَتْ خَلِيقَتُهُ ... بُخلاً فلا تَصِلُ المِسكينَ جَدْوَاهَا
سَلْ عنْ عِبادتِهِمْ سَلْ عَنْ عدالتِهِمْ ... سَلْ عَنْ مُرُوءَتِهِمْ لاَ قَطَّ تَلْقَاهَا
لم يَعْلَموا أبداً يَوْمَ المَعَادِ ولَمْ ... يَذْرُوا عَوَاقِبَ مَنْ لمْ يَتَّقِ اللهَ
قَدْ حَطَّ بينَهُمُ الذُّلُّ الرِّحَالَ فَلاَ ... تَرَى لَهُم في الوَرَى عِزاً ولاجَاهَا
لا يَشْتَكِي الدِّينُ إمَّا أهْلَكُوا عَمَداً ... ولا يُؤَسِّيهِمِ إنْ كُلُّهُمْ عَاهَا
ماكنتُ أهْجُوبِشِعْرِي مُذْعُنِيتُ بِهِ ... قَوماً ولسْتُ منَ المُبْدِين أسْتاها
جَهَنَّمُ وُضِعَتْ في أرضِنَا لِنَرَى ... خِصَالَ سُكَّانِها السُّوأى وَسِيماها
ماذَا جَنَيْتُ منَ الآثامِ في عُمُرِي ... حتَّى أعَذَّبَ في الدُّنيا بِمَثْوَاهَا

وفي ختام هذا الفصل رأيت أن أنقل هنا نص مقالة كتبها أحد أبناء كيرالا، وهو محاضر في قسم اللغة العربية، من جامعة كالكوت، واسمه: أي - لي، أحمد - كي، عن تأثير اللغة العربية في النثر المليباري، قال:

تأثير اللغة العربية في النثر المليباري

من الحقائق التاريخية أن كيرالا من جنوب الهند كانت لها علاقات تجارية بالبلاد العربية من قديم الزمان، وظلت هذه العلاقات العربية المليبارية تجارية حتى دخل الإسلام في كيرالا في القرن السابع الميلادي، وأغلب الظن أنه في أثناء حياة النبي ﷺ، وعند انبثاق نور الإسلام في آفاق

كيرالا صيَّر الصِّلات بين كيرالا والعرب دينية وثقافية، إلى جانب كونها اقتصادية.

وفي كل من هاتين المرحلتين -التجارية والثقافية- من العلاقات العربية الكيرالية، كان الاحتكاك بين الشعبين مباشراً، لأن التجار ودعاة الدين العرب خرجوا من بلادهم يقصدون كيرالا لا غيرها من البلاد، ووصلوا هنا وصولاً مباشراً، فلم يحل بينهم وبين اتصالهم بكيرالا شيء، ونتج عن هذا أن اللغة العربية وتراثها الثقافي لامست كيرالا ملامسة صريحة لم يقم دونها عامل يوهنها. هكذا وصلت اللغة وثقافتها إلى أرض كيرالا، ونفذت إلى أعماقها. ومن العوامل التي قوت ووسعت وعمقت هذا النفوذ ما يلي:

١- إن اللغة العربية التي كانت لغة العرب التجار الذين تاجروا في سواحل مليبار من قديم الزمان لعبت دوراً هاماً في كل المعاملات المالية، وبهذا الطريق أثرت اللغة العربية في حياة كيرالا الاقتصادية تأثيراً بليغاً.

٢- واللغة العربية بسبب كونها لغة أمة حظيت بشأن أهالي كيرالا أثرت أيضاً في حياة الأمم الأخرى في كيرالا عن طريق اتصالهم بهم.

٣- كان المسلمون بكيرالا يهتمون بنشر العلوم الإسلامية اهتماماً شديداً، ولتحقيق هذه الغاية عقدوا مجالس العلم، وحلقات الدرس، والمواعظ الدينية في المساجد، وكان من الطبيعي أن هذه المحافل والمجالس والمدارس خطت خطوات بعيدة في نشر اللغة العربية في كيرالا.

٤- كان هناك الكثير من الأسر العربية قد حلت بمواضع مختلفة بساحل كيرالا، واستوطنت هذه الأرض واختارتها مواطن لها، كما

يخبرنا المشاهير الذين زاروا كيرالا في قديم الزمان، -فمثلاً- يذكر ابن بطوطة في رحلته عن العرب الذين لقيهم في مدن مليبار وقراها في أثناء جولاته فيها، والذين حالفوا السكان المحليين وامتزجوا بمجرى حياتهم، وترتب على هذا مزج اجتماعي وثقافي تام بين العرب والكيراليين، وساعد ذلك اللغة العربية على أن تتوغل إلى أعماق حياة كل طبقة من طبقات سكان كيرالا.

والنتيجة الإجمالية لكل هذه المؤثرات وثقافتها صارت جزءاً لا يتجزأ من نسيج حياة الكيراليين اليومية؛ حيث يتعذر انفصالها عنها. وليس الأدب في معناه الواسع إلا الحياة نفسها إذا كانت لغة أجنبية قد امتزجت بحياة قوم امتزاجاً، حيث يستحيل انفصال الواحد من الآخر، وجعلت أثرها محسوساً في مجالات حياة القوم كلها.

وكان من الطبيعي أن تترك أثراً عميقاً في اللغة والأدب أيضاً، لأن الأدب هو تصوير الحياة نفسها -وهذا ما حدث بالنسبة للغة العربية في كيرالا.. فجاءت الآداب الماليبارية تحت تأثير اللغة العربية منذ أوائل تطورها- وهذا التأثير ظاهر في كل فن من فنونها شعراً أو نثراً، وفي كل ناحية من نواحيها لفظاً وتركيباً ونحواً أو صرفاً -والشعر هو أكثر إطاراً للنفوذ العربي من النثر في مليالم[1]، فالشعر المليالمى المشهور باسم ((الأغنية المافلية)) هي مظهر رائع لتأثير العربية في الشعر المليالي، وتأثير اللغة العربية في النثر المليالي هو الذي يهمنا في هذه المقالة، حيث تأثرت كل جوانب النثر باللغة العربية.

الأدب الديني

---

(١) ماليالم: لغة كيرلا، أي مليبار.

من أبرز مظاهر التأثير العربي في مليالم ولا غرابة، لأن العربية جاءت إلى كيرالا كلغة الإسلام والمسلمين كما أسلفنا، والمصادر الأساسية للثقافة الإسلامية، والذين ألفوا الكتب الإسلامية في مليالم واعتمدوا على المصادر العربية، ومن هذه الكتب الإسلامية الميالمية كتب مترجمة من العربية إلى مليالم، وهذا التأثير في لغة مليالم كان ذا وجهين:

الأول: في المعاني والأغراض.

والثاني: في اللفظ والأسلوب والتعبير.

١- في المعاني والأغراض:

ترجم عدد من الكتب العربية إلى اللغة الميبارية، وبذلك استفادت الأخيرة كثيراً، واستفاد الأدب الميالمي ثروة جديدة، فإن معاني القرآن وأغراضه ومبادئه وردت في مليالم عن طريق الترجمة.

وأول ترجمة لمعاني القرآن قام بها (ماين كتى الياه) من كانتور من شمال كيرالا، وألفت هذه الترجمة قبل قرن من الآن، وكانت في لغة غير فصيحة، ولكن الآن تطورت الترجمة، ففي مليالم الآن ترجمات لمعاني القرآن الكريم وتفاسيره، ومنها ما أعدته جمعية المسلمين الأدبية (بتلشيرى - والتراجم الأخرى التي ألفها (ش. إن. أحمد مولوي) وغيرها، كما صدرت ترجمة لمعاني القرآن أخذت من اللغة الأردية لأبي الأعلى المودودي، وكلها بالميالمية الفصيحة.

ومن الأحاديث ترجم صحيح البخاري مع شرح وافٍ.

كما ألفت في مليالم كتب إسلامية كثيرة في كل علم وفن إسلامي، وكلها أو جُلّها عن العربية.

وهذه المؤلفات أثرت اللغة الميليالمية كثيراً.

٢- في الألفاظ والأسلوب:

إن تكييف الألفاظ والتراكيب والأسلوب في النقل من العربية إلى الميالمية قد زاد في رونق وتطور لغة ميالم، وأكسبها بعداً جديداً، وترك لمسات اللغة العربية واضحة من خلالها، رغم الأسلوب القديم في الترجمة وغير الفصيح، والذي لا زال يستخدمه الواعظون في خطبهم حتى اليوم.

الخط العربي الميالمي:

من أبرز آثار اللغة العربية وجود خط ميالمي بالحروف العربية، وغالب الظن أنه نشأ مع أول ظهور الإسلام في كيرالا، ولعل من أسباب ظهور هذا الخط جماله وسهولة البحث عن المواضيع في العربية، ولا شك فإن انتشار هذا الخط بالعربية أثرى الأدب الميالمي، وهو أدب إسلامي، وكل الإنتاج الأدبي الذي نشر بالخط العربي الميالمي يسمى ((الآداب المافلية)).

ومن هذه الآداب شعر ونثر، فالشعر العربي الميالمي يسمى بالأغنية المافلية نسبة إلى المافليون من مليبار، وهي أشعار نظمها شعراء مسلمون في أمور إسلامية، كسيرة الرسول ﷺ والصحابة، وبطولات المسلمين.

والنثر أيضاً كان له شأن كبير ومن الروايات المنشورة بالخط العربي الميالمي زينيه للمرحوم كي، كي، أم جمال الدين مولوي.

ولأن الخط العربي الميالمي تميز بالخط العربي، ومواضيعه ومعانيه الإسلامية العربية، وألفاظه وتراكيبه المتأثرة باللغة العربية، فهو بمقام لغة مستقلة، ولقد ظل سائداً إلى عهد غير بعيد.

الألفاظ العربية في ميالم:

إن سكان كيرالا يستخدمون في حياتهم اليومية عن قصد أو غير

قصد مئات من الكلمات العربية، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهناك كلمات ميالمية كثيرة يرجع أصلها إلى أصل عربي، وبجانب ذلك وجدت كلمات عربية خالصة، أصبحت ألفاظاً ميالمية، بسبب الاستعمال المستمر، مثال ذلك: نصيب - بركة - كتاب - صبر - مصيبة - هلاك - شيطان - حمق - إبليس - مسكين - فقير - طرح - حلال - سلام - دنيا - حية - قبر ... وغيرها من الألفاظ الكثيرة الدارجة، والمستعملة بشكل أساسي في كيرالا...

في القصص والروايات:

وهذه الكلمات تجاوزت النطق إلى الكلام المكتوب، فهي موجودة في القصص والروايات الميالمية التي تتناول حياة مسلمي مليبار، وعدد كبير من المؤلفين يستخدمون الكلمات العربية في مؤلفاتهم الميالمية، مثال: بى - يي - كرشفن - وويكم - محمد بشير - وتكودين.

كما أن... هؤلاء الكتاب ليسوا كلهم مسلمين...

ألف ليلة وليلة:

وكثير من المؤلفات العربية والقصص والروايات نقلت من العربية إلى ميالم، أو من الإنجليزي إلى ميالم، وبذلك أثرت اللغة الميالم كثيراً، ومن ذلك ألف ليلة وليلة وغيرها، فقد أوقدت خيال الكثير، بأسلوبها الفذ، كما وردت إلى جانب هذا الأثر من القصص تعابير ومجازات عربية فصارت ميالمية.

الأدب الحديث وجبران خليل جبران:

والحقيقة أن الأدب العربي الحديث غير موجود حالياً في متناول الكيراليين، ولا يعرفون عنه شيئاً، ما عدا كاتب عربي واحد هو جبران

خليل جبران، وقد ترجم كتابه ((دمعة وابتسامة)) إلى الميالمية، وإن كان بعض كتاب مياليم وأدبائها يعرفون قليلاً عن طه حسين، والمنفلوطي، وجرجي زيدان. انتهى

يوم الثلاثاء: ١/ ٥/ ١٣٩٧هـ - ١٩/ ٤/ ١٩٧٧م:

من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي:

ركبنا القطار من مدينة مدراس عاصمة (تامل نادو) على خليج البنغال في الساحل الشرقي للهند، قاصدين مدينة كاليكوت في ولاية كيرالا أي ماليبار على الساحل الغربي، أي على بحر العرب، مخترقين بلاد الهند كلها في تلك الناحية الجنوبية فيها.

تحرك القطار في الساعة الثامنة إلا ربعاً مساءً، وكانت أماكننا في الدرجة الأولى في غرف للنوم مجهزة بالأسرّة، ولكن القطار قديم، ومستواه ليس جيداً، وركوبه ليس مريحاً، لذلك كان نومي قليلاً، ولم نكن نرى إلا أشجار النارجيل في ذلك الليل الذي لا قمر فيه، رافعة رؤوسها كأنها أعراس الخيال، قد نشرت ذوائبها لتستعد للرقص.

وكلما أوغل القطار في البلاد زادت كثافة الأشجار، أو هكذا خُيِّل إلينا في هذا الظلام، على أننا لا نكاد نفارق القرى والبلدان المعمورة طول الطريق، ويتوقف القطار بين فينة وأخرى في بلدة أو محطة، ينزل أناساً ويأخذ آخرين.

ذكرت وأنا في هذا القطار آخر مرة سافرت فيها في مثله ليلة كاملة، فكانت في يوغسلافيا من مدينة بلغراد إلى مدينة برشتينا، ولكن الفرق كان كبيراً؛ إذ الجو في يوغسلافيا كان في ذلك الوقت في أقسى البرودة، فدرجة الحرارة أو درجة البرودة - إن شئت - كانت ١٤ تحت الصفر، أما في هذه الليلة، وفي هذا القطار الهندي، فإن الجو حار رطب، وفي غرفتنا في القطار أربع مراوح صغيرة، كل ركن موجه إليه

مروحة واحدة.

والمقرر أن يصل القطار إلى كاليكوت في الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالي الأربعاء، أي يستغرق السفر مدة اثنتي عشرة ساعة تقريباً.

يوم الأربعاء: ٢/ ٥/ ١٣٩٧هـ - ٢٠/ ٤/ ١٩٧٧م:

أصبحنا في غرفتنا في القطار، ولكننا عندما صحونا فجراً وجدنا أنفسنا قد خرجنا من ولاية تامل نادو إلى ولاية كيرالا التي كان اسمها العربي (مالابار) أو ماليبار، ومعناها: بر الجبال؛ إذ ما: هو الجبل بلغة أهل تلك البلاد، وبر: هي كلمة بر، وهي ضد بحر في العربية.

وأما كيرالا فمعناها في لغتهم أرض النارجيل، وقد تظرف بعض أدباء العرب فقال: إن أصل التسمية (خير الله) لكثرة الخيرات فيها، كما تقدم، وذكرت عند سماعي هذا القول قول بعضهم: إن شكسبير عربي الأصل، وأن أصله اسمه شيخ زبير.

وعندما أبصرنا الأرض التي يسير فيها القطار رأينا البيوت كلها مسنمة السقوف، مما يدل على كثرة الأمطار في تلك المنطقة، وهذا صحيح؛ إذ يستمر موسم الأمطار فيها نحو ستة شهور.

الاستقبال بالزهور:

وصلنا بعد طلوع الشمس بنصف ساعة إلى بلدة (شارن أور)، ومعناها بلدة شارن، لأن أور في لغتهم معناها: بلد، وعندما وقف القطار وجدنا جمهوراً كبيراً من أهلها في استقبالنا، وأخبرنا أخوانا الشيخ عبد العزيز كمال تايل، والشيخ حاجي حسن عبد الله مدير دار الأيتام في كاليكوت أنهم أخبروا المسلمين في تلك البلدة بقدومنا، فما أن نزلنا إلى أرض المحطة حتى بادرونا بأن طوقونا بأطواق جميلة من الزهور المعطرة المنسقة الجميلة، ومع كل قلادة كانت صورة تؤخذ لكل واحد بمثابة تذكار للزيارة، كما وجدناهم قد أعدوا لكل واحد منا فطوراً كاملاً في صينية خاصة

به، يشمل الشاي والحليب والبيض والخبز والزبدة والمربى، تناولناه خلال وقوف القطار في المحطة، وهذا مهم لأن القطار ليس فيه مطعم.

ومنحونا أهم من ذلك وأغلى لدينا، وهو عواطفهم الكريمة، ومحبتهم الصادقة، وعناقهم الأخوي، مما لفت أنظار الموجودين في المحطة من غير المسلمين، ورئيس المستقبلين يدعى الحاج سيد علوي، وهو من المنفقين في الخير إذْ تبرع للجمعية الإسلامية ببستان له.

مزيد من أطواق الزهور:

ثم وصل بنا القطار إلى بلدة صغيرة اسمها (تيرور)، فوجدنا في استقبالنا فيها أعضاء من الجمعية الإسلامية، ومعهم أطواق الزهور، فقلدوا كل واحد منا طوقاً منها مع الابتسامات وأخذ الصور التذكارية. وبعد ذلك بنحو ٢٠كيلاً، وبعد مضي اثنتي عشرة ساعة كاملة من مسير القطار، وصلنا في الساعة الثامنة والربع صباحاً إلى:

مدينة كاليكوت:

وهي مدينة ساحلية تقع على ساحل مليبار أو مالابار، كما هو في بعض الكتب العربية القديمة، على بحر العرب، وقد سماها ابن بطوطة قالقوط.

وهي مدينة صغيرة في عرف أهل الهند، إذْ لا يزيد سكانها على ثلاثمائة وعشرين ألفاً، ٣٠٪ منهم مسلمون، فوجدنا في المحطة كبار القوم من جمعية التعليم الإسلامي، على رأسهم الدكتور عبد الغفور بادية، وهو طبيب اختصاصي بالأعصاب، ولكنه ترك الوظيفة الحكومية، وأخذ يعمل في مصالح المسلمين، واقتدى به عدد من الأطباء، فاستقالوا من

الحكومة واشتغلوا في العمل الإسلامي، إلى جانب التطبيب الخاص.

ومرة أخرى طوقوا أعناقنا بأطواق الزهور، وكان شعوري لا يوصف من الغبطة بهذه العواطف الأخوية الفياضة.

وأنزلونا في فندق يسمى (سي كوين هوتيل)، أي فندق ملكة البحر، وهو يطل على بحر العرب من ساحل مليبار، ومستوى غرفه مستوى الدرجة الأولى، إلا أنه ليس كبيراً، فأخذنا فيه قسطاً من الراحة.

ابن بطوطة في كاليكوت:

قبل كلامنا على الجولة في مدينة كاليكوت، أحببت أن أنقل كلام ابن بطوطة السائح العربي الذي زارها قبل سبعمائة سنة، وأسماها (قالقوط)، وقد ذكر ما جرى عليه في المنطقة من متاعب، كما تعرض لبعض المظاهر الإسلامية في بلاد المليبار في ذلك التاريخ، قال:

ثم سافرنا منها إلى مدينة قالِقُوط، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار، يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل[1]، وأهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الآفاق، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا، وسلطانها كافر يعرف بالسامري، شيخ مسن يحلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم، رأيته بها، وسنذكره إن شاء الله. وأمير التجار بها إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين، فاضل ذو مكارم، يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه. وقاضيها فخر الدين عثمان، فاضل كريم. وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني، وله تعطى النذور التي ينذر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي إسحاق الكازروني نفع الله به.

---

(١) وهي جزر مالديف.

وبهذه المدينة الناخوذة (مثقال) الشهير الاسم، صاحب الأموال الطائلة، والمراكب الكثيرة، لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس. ولما وصلنا إلى هذه المدينة خرج إلينا إبراهيم شاه بندر، والقاضي، والشيخ شهاب الدين، وكبار التجار، ونائب السلطان الكافر المسمى بقُلاج، ومعهم الأطبال والأنفار والأبواق والأعلام في مراكبهم. ودخلنا المرسى في بروز عظيم، ما رأيت مثله بتلك البلاد، فكانت فرحة تتبعها ترحة، وأقمنا بمرساها، وبه يومئذ ثلاثة من مراكب الصين، ونزلنا بالمدينة، وجعل كل واحد منا في دار[1]، وأقمنا ننتظر زمان السفر إلى الصين ثلاثة أشهر، ونحن في ضيافة الكافر.

وبحر الصين لا يسافر فيه إلاّ بمراكب الصين، ولنذكر ترتيبها. ومراكب الصين ثلاثة أصناف: الكبار منها تسمى الجنوك، واحدها جنك[2]، والمتوسطة تسمى الزوْ، والصغار يسمى أحدها الكم. ويكون في المركب الكبير منها اثنا عشر قلعاً[3] فما دونها إلى ثلاثة، وقلعها من قضبان الخيرزان منسوجة كالحصر، لا تحط أبداً، ويُديرونها بحسب دوران الريح، وإذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح. ويخدم في المركب منها ألف رجل، منهم البحرية ستمائة، ومنهم أربعمائة من المقاتلة، تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والجرخية، وهم الذين يرمون بالنفط. ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة: النصفي، والثلثي، والربعي.

ولا تصنع هذه المراكب إلاّ بمدينة الزيتون من الصين، أو بصين

---

(١) الدار هنا: الغرفة.

(٢) الجنك: السفينة الكبيرة.

(٣) القلع هنا: الأشرعة: جمع شراع.

كلان[١]، وهي صين الصين.

إلى أن قال:

ولما حان وقت السفر إلى الصين، جهز لنا السلطان السامري جنكاً من الجنوك الثلاث عشرة التي بمرسى قالقوط. وكان وكيل الجنك يسمى بسليمان الصفدي الشامي، وبيني وبينه معرفة، فقلت له: « أريد مصرية [٢] لا يشاركني فيها أحد لأجل الجواري، ومن عادتي أن لا أسافر إلا بهن ». فقال: « إن تجار الصين قد اكتروا المصاري ذاهبين وراجعين، ولصهري مصرية أعطيكها، لكنها لا سندس فيها[٣]، وعسى أن تمكن معاوضتها ». فأمرت أصحابي فأوسقوا ما عندي من المتاع، وصعد العبيد والجواري إلى الجنك، وذلك في يوم الخميس، وأقمت لأصلي الجمعة وألحق بهم، وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية[٤]. ثم إن فتى لي يسمى بهلال أتاني غدوة الجمعة، فقال: « إن المصرية التي أخذنا بالجنك ضيقة لا تصلح ». فذكرت ذلك للناخوذة، فقال: « ليست في ذلك حيلة، فإن أحببت أن تكون في الككم ففيه المصاري على اختيارك »، فقلت: « نعم »، وأمرت أصحابي فنقلوا الجواري والمتاع إلى الككم، واستقروا به قبل صلاة الجمعة. وعادة هذا البحر أن يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر، فلا يستطيع أحد ركوبه.

وكانت الجنوك قد سافرت، ولم يبق منها إلا الذي فيه الهدية، وجنك عزم أصحابه على أن يشتوا بفندرينا، والككم المذكور، فبتنا

---

(١) تسمى اليوم: قوانقتشو، وتشتهر باسم (كانتون).

(٢) المصرية: غرفة خاصة في المركب.

(٣) السنداس: بيت الماء، أو المرحاض.

(٤) الهدية: هي التي بعثها سلطان الهند مع ابن بطوطة إلى ملك الصين.

ليلة السبت على الساحل، لا نستطيع الصعود إلى الككم، ولا يستطيع من فيه النزول إلينا، ولم يكن بقي معي إلاّ بساط افترشه، وأصبح الجنك والككم يوم السبت على بعد من المرسى. ورمى البحر بالجنك الذي كان أهله يريدون فندرينا فتكسر، ومات بعض أهله وسلم بعضهم. وكانت فيه جارية لبعض التجار عزيزة عليه، فرغب في إعطاء عشرة دنانير ذهباً لمن يخرجها، وكانت قد التزمت خشبة في مؤخرة الجنك، فانتدب لذلك بعض البحرية الهرمزيين، فأخرجها وأبى أن يأخذ الدنانير، وقال: « إنما فعلت ذلك لله تعالى ».

ولما كان الليل رمى البحر بالجنك الذي كانت فيه الهدية، فمات جميع من فيه، ونظرنا عند الصباح إلى مصارعهم، ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه، والملك سنبل قد ضرب مسمار في أحد صُدْغَيْه نفذ من الآخر، وصلينا عليهما ودفناهما، ورأيت الكافر سلطان قالقوط وفي وسطه شقة بيضاء كبيرة، قد لفها من سرَّته إلى ركبته، وفي رأسه عمامة صغيرة، وهو حافي القدمين، والشطر[1] بيد غلام فوق رأسه، والنار توقد بين يديه في الساحل، وزبانيته يضربون الناس لئلا ينتهبوا ما يرمي البحر. وعادة بلاد الملیبار أن كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للمخزن[2]، إلاّ في هذا البلد خاصة، فإن ذلك يأخذه أربابه، ولذلك عمرت وكثر تردد الناس إليها.

ولما رأى أهل الككم ما حدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا، ومعهم جميع متاعي وغلماني وجواريّ، وبقيت منفرداً على الساحل ليس معي إلاّ فتى كنت أعتقته، فلما رأى ما حل بي ذهب عني، ولم يبق عندي

(١) الشطر: العَلَم.

(٢) المخزن هنا: الحكومة.

إلاّ العشرة الدنانير التي أعطانيها الجوكي، والبساط الذي كنت أفترشه، وأخبرني الناس أن ذلك الككم لا بد له أن يدخل مرسى كولم، فعزمت على السفر إليها، وبينهما مسيرة عشر في البر، أو في النهر أيضاً لمن أراد ذلك، فسافرت في النهر، واكتريت رجلاً من المسلمين يحمل لي البساط. وعادتهم إذا سافروا في ذلك النهر، أن ينزلوا بالعشي فيبيتوا بالقرى التي على حافتيه، ثم يعودوا إلى المركب بالغدو، فكنا نفعل ذلك، ولم يكن بالمركب مسلم إلاّ الذي اكتريته. وكان يشرب الخمر عند الكفار إذا نزلنا، ويعربد عليّ فيزيد تغير خاطري.

ووصلنا في اليوم الخامس من سفرنا إلى كُنْجي كري، وهي بأعلى جبل هنالك، يسكنها اليهود، ولهم أمير منهم، ويؤدون الجزية لسلطان كولم.

وجميع الأشجار التي على هذا النهر أشجار القرفة والبقم، وهي حطبهم هنالك، ومنها كنا نقد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق.

وفي اليوم العاشر وصلنا إلى مدينة كولم، وهي أحسن بلاد المليبار، وأسواقها حسان، وتجارها يعرفون بالصّوليين، لهم أموال عريضة، يشتري أحدهم المركب بما فيه، ويوسقه من داره بالسلع. وبها من التجار المسلمين جماعة، كبيرهم علاء الدين الآوَجي، من أهل آوة من بلاد العراق، وهو رافضي، ومعه أصحاب له على مذهبه، وهم يظهرون ذلك. وقاضيها فاضل من أهل قزوين. وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر، وله أخ فاضل كريم اسمه تقي الدين. والمسجد الجامع بها عجيب، عمره التاجر خواجة مهذب. وهذه المدينة أوّل ما يوالي الصين من بلاد المليبار، وإليها يسافر أكثرهم، والمسلمون بها أعزة محترمون. وسلطانها كافر يعرف بالتيرَوَري، وهو معظّم المسلمين، وله أحكام شديدة في السراق والدعار.

ومما شاهدت بكولم أن بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم، وفر إلى دار الأوجي، وكان له مال كثير، وأراد المسلمون دفن المقتول، فمنعهم نواب السلطان من ذلك، وقالوا: « لا يدفن حتى تدفعوا لنا قاتله فيقتل به! ». وتركوه في تابوته على باب الآوجي، حتى أنتن وتغير، فمكنهم الآوجي من القاتل، ورغب منهم أن يعطيهم أمواله ويتركوه حياً، فأبوا ذلك وقتلوه، وحينئذ دفن المقتول. أخبرت أن سلطان كولم ركب يوماً إلى خارجها، وكان طريقه فيما بين البساتين، ومعه صهره زوج بنته، وهو من أبناء الملوك، فأخذ حبة واحدة من العنب سقطت من بعض البساتين، وكان السلطان ينظر إليه، فأمر به عند ذلك فوسّط وقسم نصفين، وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره، وقسمت حبة العنبة نصفين، فوضع على كل نصف منها، وترك عبرة للناظرين.

ومما اتفق نحو ذلك بقالقوط أن ابن أخ للنائب عن سلطانها، غصب سيفاً لبعض تجار المسلمين، فشكا بذلك إلى ابن عمه، فوعده بالنظر في أمره، وقعد على باب داره، فإذا بابن أخيه متقلد ذلك السيف، فدعاه فقال: « هذا سيف المسلم؟ ». قال: « نعم ». قال: « اشتريته منه؟ ». قال: « لا ». فقال لأعوانه: « امسكوه ». ثم أمر به فضربت عنقه بذلك السيف.

وأقمت بكولم مدة بزاوية الشيخ فخر الدين بن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ قالقوط، فلم أتعرف للكم خبراً. وفي أثناء مقامي بها، دخل إليها أرسالُ ملك الصين الذين كانوا معنا، وكانوا ركبوا في أحد تلك الجنوك فانكسر أيضاً، فكساهم تجار الصين وعادوا إلى بلادهم، ولقيتهم بها بعد، وأردت أن أعود من كولم إلى السلطان لأعلمه بما اتفق على الهدية، ثم خفت أن يتعقب فِعْلي ويقول: « لم فارقت الهدية؟ ». فعزمت على العودة إلى السلطان جمال الدين الهنوري، وأقيم عنده حتى أتعرف خبر

الكلكم.

فعدت إلى (قالقوط)، ووجدت بها بعض مراكب السلطان، فبعث فيها أميراً من العرب يعرف بالسيد أبي الحسن، وهو من البرددارية وهم خواص البوابين، بعثه السلطان بأموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبته في العرب، فتوجهت إلى هذا الأمير، ورأيته عازماً على أن يشتو بقالقوط، وحينئذ يسافر إلى بلاد العرب، فشاورته في العودة إلى السلطان، فلم يوافق على ذلك.

فسافرت بالبحر من (قالقوط)، وذلك آخر فصل السفر فيه، فكنا نسير نصف النهار الأول، ثم نرسو إلى الغد، ولقينا في طريقنا أربعة أجفان غزوية، فخفنا منها، ثم لم يعرضوا لنا بشر.

ووصلنا إلى مدينة هِنّور، فنزلت إلى السلطان وسلمت عليه، فأنزلني بدار ولم يكن لي خديم، وطلب مني أن أصلي معه الصلوات، فكان أكثر جلوسي في مسجده، وكنت أختم القرآن كل يوم، ثم كنت أختم مرتين في اليوم، أبتدئ بعد صلاة الصبح فأختم عند الزوال، وأجدد الوضوء وأبتدئ القراءة فأختم الختمة الثانية عند الغروب، ولم أزل كذلك مدة ثلاثة أشهر، واعتكفت فيها أربعين يوماً، وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركباً وسفرتَهُ، برسم غزو سندابور، وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف، فكتب ولده إلى السلطان جمال الدين أن يتوجه لفتح سندابور، ويُسْلِم الولد المذكور ويزوجه السلطانُ أختَه، فلما تجهزت المراكب ظهر لي أن أتوجه فيها إلى الجهاد، ففتحت المصحف أنظر فيه، فكان في أوّل الصّفح: ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره ﴾، فاستبشرت بذلك، وأتى السلطان إلى صلاة العصر، فقلت

له: « إني أريد السفر ». فقال: « فأنت إذاً تكون أميرهم ». فأخبرته بما خرج لي في أول الصفح، فأعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه، ولم يكن ظهر له ذلك قبل.

فركب مركباً منها وأنا معه، وذلك في يوم السبت، فوصلنا عشي الإثنين إلى سندابور، ودخلنا خورها، فوجدنا أهلها مستعدين للحرب، وقد نصبوا المجانيق، فبتنا عليها تلك الليلة، فلما أصبح ضربت الطبول والأنفار والأبواق، وزحفت المراكب، ورموا عليها بالمجانيق، فلقد رأيت حجراً أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان، ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء وبأيديهم الترسة والسيوف، ونزل السلطان إلى العُكَيري وهو شبه الشلير، ورميت بنفسي في الماء في جملة الناس، وكان عندنا طريدتان مفتوحتي المواخر فيها الخيل، وهي بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدرع ويخرج، ففعلوا ذلك، وأذن الله في فتحها، وأنزل النصر على المسلمين، فدخلنا بالسيف، ودخل معظم الكفار في قصر سلطانهم، فرمينا النار فيه، فخرجوا وقبضنا عليهم. ثم إن السلطان أمنهم ورد لهم نساءهم وأولادهم، وكانوا نحو عشرة آلاف، وأسكنهم بريض المدينة، وسكن السلطان القصر، وأعطى الديار بمقربة منه لأهل دولته، وأعطاني جارية منهن تسمى لمكي، فسميتها مباركة، وأراد زوجُها فداءها فأبيت، وكساني فرجية مصرية وجدت في خزائن الكافر، وأقمت عنده بسندابور من يوم فتحها، وهو الثالث عشر لجمادى الأولى إلى منتصف شعبان، وطلبت منه الإذن في السفر، فأخذ علي العهد في العودة إليه.

وسافرت في البحر إلى هنّور، ثم إلى فاكنور، ثم إلى منجرور، فعدت إلى قالقوط، ووصل إليها غلامان كانا لي بالككم، فأخبراني أن الجارية التي كانت حاملاً وبسببها كان تغير خاطري توفيت، وأخذ

صاحب الجاوة سائر الجواري، واستولت الأيدي على المتاع، وتفرق أصحابي إلى الصين والجاوة وبنجالة.

فعدت لما تعرفت هذا إلى هِنّور، إلى سندابور، فوصلتها في آخر المحرم، وأقمت بها إلى الثاني من شهر ربيع الآخر، وقدم سلطانهم الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها، وهرب إليه الكفار كلهم، وكانت عساكر السلطان متفرقة في القرى فانقطعوا عنا، وحصرنا الكفار، وضيقوا علينا، ولما اشتد الحال خرجت عنها، وتركتها محصورة.

وعدت إلى قالقوط، وعزمت على السفر إلى ذيبة المهل، وكنت أسمع بأخبارها.

انتهى كلام ابن بطوطة.

وقد كنت أود التعليق على كل ما جاء في كلامه خاصاً بهذه البلاد بمساعدة أحد إخواننا من علماء المسلمين في هذه الولاية، غير أنني وجدت أن معرفته بذلك لا تصل إلى المدى الذي أملته، فاقتصر ذلك على بيان بعض المدن والقرى الواردة في كلامه التي هي معروفة الآن، وذلك في القائمة التي تتبع هذا الكلام، مع العلم بأن هناك أماكن ذكرها خارجة الآن عن ولاية كيرالا، وداخلة في ولاية كرناتك التي ذكرت زيارتي لها في كتاب: « جنوب الهند ».

كما أن طائفة من أسماء المدن والبلدان التي ذكرها لم يتعرف عليها الإخوة الذين سألتهم.

وكنت أود أن أجد كتاباً أو بحثاً مفصلاً في ذلك، فلم أعثر عليه. ولذلك قنعت بما ذكر.

م	الصفحة	السطر	الاسم الوارد في كتابه	الاسم الجديد ونطقه في اللغة الماليالمية
١	٦٣٨	١	الملیبار	الماليبار (ملبار) MALABAR
٢	=	٢	كولام	كولام (كولم) KOLLAM
٣	=	٢	سندابور	سدابور في ولاية كرناتكا SIDDAPUR
٤	٦٤٠	١٠	قاليقوط	كاليكوت (كاليكت) CALICUT
٥	=	١٢	أبي سرور	؟
٦	=	١٥	فاكنور	؟
٧	٦٤١	٦	منجرور	مانجلور (منجلور) (في ولاية كرناتكا) MANGALORE
٨	=	٧	خور الذنب	
٩	=	١٨	هيلي	ايزى ملا EZHIMALA
١٠	٦٤٢	٩	جرفتن	؟
١١	=	١٨	بدفتن	ولبتنم – UALAPATTANAM
١٢	=	١٩	دهفتن	درمدم DARMADAM
١٣	٦٤٣	٢١	=	
١٤	٦٤٤	٧	فندرينا	بندلايني PANDALAYINI
١٥	٦٤٥	١	قاليقوط	كاليكوت (كالكت) CALICUT
١٦	٦٤٨	٢١	كنجي كرك	
١٧	٦٤٩	٣	كولام	كولام (كولم) KOLLAM
١٨	٦٥٠	٢٢	هنور	هونور HONAWAR
١٩	٦٥٢	٨	شاليات	شتاليم CHALIYAM يعرف اليوم بميناء بيبور أيضاً BEYPUR

كلية البنات:

في تمام الساعة الحادية عشرة أخذونا إلى مشاهدة كلية البنات المسلمات، وموضع إسكان الطالبات الغريبات منهن في مدينة

كاليكوت، وكان أصله نادياً للأوربيين، فيه بناء عمره مائة سنة، محاط بفناء تظلله أشجار النارجيل المثمرة، وأشجار المانجو الوارفة الظلال.

ويقيمون الآن بناء جديداً في ركنه للكلية، وبناءً آخر لإسكان الطالبات مكوناً من أربعة طوابق، والبناء قائم فيه العمل على قدم وساق، وينوون أن يهدموا البناء القديم ليقيموا على أرضه بناء حديثاً من عدة طوابق.

وبعد التجول في المكان أحضروا لنا ثمار النارجيل من أشجاره، وسقونا من مائها البارد اللذيذ، ثم بعد ذلك توجهنا إلى بيت الدكتور عبد الغفور.

جلسة إسلامية:

فجلسنا فيه جلسة عمل، دارت الأحاديث فيها دون انقطاع لمدة ساعتين ونصف حول شؤون المسلمين في الهند، وبرامج جمعية التعليم الإسلامي ودور المثقفين من المسلمين في النهوض بهم، ولهم أفكار عظيمة في هذا الموضوع، يحتاج إنفاذها إلى مبالغ كبيرة من المال، مثل إنشاء المزيد من الكليات والمدارس والمعاهد المهنية، وإعداد مبالغ لأغراض المسلمين والمسلمات، لأن الحرف والصناعات كآلات الخياطة، وإجراء اتصالات بالمسلمين في خارج الهند لتيسير الاستعانة بالعمل والفنيين من مسلمي الهند إلخ...يحتاج إلى نفقة كبيرة.

وقد حضر الجلسة عدد من الشبان المتعلمين المثقفين ثقافة إسلامية، وشاركونا الاجتماع، وكان اجتماعاً مباركاً، تمنينا مساعدتهم على تحقيق ما ذكروه، ووعدناهم بأننا سنفعل ما نستطيع فعله منه.

وبعد انتهاء الاجتماع في تمام الساعة الثانية انتقلوا إلى مائدة الغداء في بيت الدكتور عبد الغفور، وقد دعا عدداً من كبار المسلمين، منهم

الشيخ محمد يوسف أمير الجماعة الإسلامية في الهند، وبعض العرب الذين حضروا المؤتمر معنا، منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري من قطر.

وكان الغداء يتألف من الأرز المطبوخ بما يشبه الطريقة العربية، إلا أنه مليء بالبهارات والزيت، وعلى خبز رقاق لذيذ من الأرز أيضاً، وعلى لقيمات من الأرز لا أدري كيف صنعت، ثم الخبز الهندي المسمى (نان)، وهو خبز صغار يطبخ بالسمن. أما المستخرجات من النارجيل فتتضمن سائلاً أبيض أسموه (حليب النارجيل) لأنه يشبه الحليب، فقلنا: سبحان الذي جعل أشجاركم تدر اللبن، كما أن شحم النارجيل، أي الذي يكون داخل القشر ودون الماء يعالج ويخلط بالفلفل، ويستعمل بمثابة سلطة، وقد جربته فوجدته لذيذ الطعم، لولا كثرة الفلفل فيه لأكثرت منه.

على سطح الفندق:

قبل غروب الشمس بقليل أقاموا اجتماعاً في سطح الفندق الذي نسكن فيه في هواء أصيل جميل، تبلله نفحات من النسيم العليل القادم من البحر المجاور الذي يراه المرء وهو جالس، وكان المقصود من هذا الاجتماع توزيع مساعدات قدمتها جمعية التعليم الإسلامي لأئمة المساجد والأرامل، وذلك على شكل تحويل مالي داخل ظرف، مختوم على كل ظرف اسم صاحبه، وقد حضر بعض أقارب الأرامل بالنيابة عنهن لتسلم المبلغ، وقام زميلنا في الرحلة الشيخ عبد الله بن منيع بتوزيع الظروف على أربابها.

وحفلة أخرى:

تلقينا دعوة رئيس الجماعة الإسلامية في مقاطعة كيرالا لحضور احتفال تقيمه الجماعة لمناسبة خروج أميرها الشيخ محمد يوسف من

السجن، والسماح برفع الحظر عن نشاطها بعد تغيير الحكم في الهند، إثر الانتخابات الأخيرة.

وقد تخلفت عن حضور الاجتماع من أوله، ولم أصل إلا قبل نهايته بنصف ساعة، أما بقية الزملاء فقد حضروه كله، وكان قد استمر مدة ساعتين ونصف، وكان مما قاله الشيخ محمد يوسف أثناءه: إذا كانت الدعوة إلى الإسلام جريمة، فليشهد الجميع أننا لن نتوقف عنها، وإذا متنا في هذا السبيل فإننا شهداء إن شاء الله.

وقد حضر الاجتماع عدد كبير من الناس، يقدر بنحو أربعة آلاف شخص إلى جانب من يقف من المارة والفضوليين، ويستمع إلى ما يجري فيه.

يوم الخميس: ٣ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ.

الفنس:

هذه فاكهة كبيرة عظيمة، تزن الواحدة منها حوالي ١٢كيلاً إلى خمسة عشر كيلاً.

أحضر لنا اليوم أحد إخواننا واحدة منها، وقال: انظروا إلى فاكهتنا، وهي على شكل قرعة كبيرة إلا أنها ثقيلة الوزن جداً، لأنه ليس في وسطها فراغ، وقشرها سميك يشبه جلد الضب، أي: أصفر يميل إلى السمرة، خشن. وفتحوها فإذا بها محشوة بفاكهة تشبه التمرة، إلا أنها أكبر تمراً، وأعظم نوى، وأقل حلاوة.

وقال الأستاذ عبد الغفور تايل: إنها هي الفاكهة التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته عندما زار ماليبار، وقال: إن الواحدة منها تكفي القبيلة، وقد ذكر أن اسمها الفنس، وهذا من اسم لها قديم في الهند (فنسم)، أما الآن فهي تعرف باسم (شاكا).

ثم أرونا شجرها بعد ذلك، فإذا بها أشجار ضخمة الجذوع، كثيرة الفروع، ذاهبة في السماء، وتسمى شجرته بلاؤ، ووجدنا بعض أشجارها قد تسلقت عليها نباتات الفلفل الأسود التي لا تنهض إلا معتمدة على غيرها من الأشجار.

قال السيد عبد الحي الحسني: ومن شجر الهند (كَنْهل) - بفتح الكاف وإسكان التاء المعجمة - وهي شجرة عادية، أوراقها كأوراق الجوز، وثمرها يخرج من أصل الشجرة، فما اتصل منه بالأرض حلاوته أشد، ومطعمه أطيب مما كان فوق ذلك، وثمرها يشبه القرع الكبار،

وجلوده تشبه جلود البقر، فإذا اصفرت في أوان الخريف قطّعوه وشقوه، فيكون داخل كل حبة المائة والمائتان فيما بين ذلك من حبات تشبه الخيار، بين كل حبة وحبة صفاق أصفر اللون، ولكل حبة نواة، فإذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها أطيب وألذ...

وفيه يقول الشرواني:

أتطلب من ثمار الهند نوعاً ينوب عن الدواء لكل داء
خذ(الأكتال)واضرب عن سواها فكل الصيد في جوف الفراء[1]

ويذكر أن الفواكه هنا كثيرة، ولكن أكثرها غير ما هو عندنا، سواء في الطعم أو الشكل، والشيء الكثير المهم هو الموز، فالأنبا وهو (المانجو)، وهناك اليوسفي والبرتقال، وهو قليل فالعنب.

دار الأيتام:

خرجنا من فندقنا في الساعة الثامنة صباحاً لزيارة دار الأيتام، وهي في موضع يبعد ثمانية كيلات عن المدينة إلى جهة الشرق الجنوبي، في منطقة غارقة في أشجار كثيفة، أكثرها وأظهرها نخيل النارجيل، وأشجار المانجو.

وصلنا مبنى دار الأيتام، فألفيناهم قد صفوهم صفوفاً، ونظموهم تنظيماً أشبه بأن يكون تنظيماً عسكرياً، حتى كانت فرقة من الكشافة منهم تحيّي الزائرين، وقد وقف أفرادها وقفة عسكرية، وقد صفوا البنات على حدة، والأبناء على حدة، ويظهر على الجميع الالتزام بالنظام، والحرص على الانتظام، أما مظهرهم الصحي فهو ممتاز، دونه

(١) الهند في العهد الإسلامي ص ٢٠.

بكثير مظهر الذين تراهم في الشارع من الأولاد الذين هم تحت كنف الوالدين.

وهذا كله بسبب جهود مجموعة من المسلمين المخلصين، أولهم مؤسسها الحاج أحمد القصوري - رحمه الله - أسسها عام ١٩٢٢م، وعلى رأسهم في الوقت الحاضر الأستاذ حسن عبد الله مدير الدار، وهو شعلة من النشاط والحماس، قلّ أن يصادف المرء له نظيراً، ورغم قدرته الإدارية، وقوة ضبطه لهذه المدرسة، فهو رقيق القلب، شفاف العاطفة، إذا ذكر خدمة المسلمين أو تربية هؤلاء الأيتام تأثر، فاختنقت الكلمات في حلقه، واغرورقت عيناه بالدموع.

أرانا المطبخ الخاص بالدار، فإذا فيه جفان كالجوابي، وقدور راسيات، أي: نعم راسيات، فالقدر ضخم بحيث يصعب تحريكه، ولكن سلط عليه صنبور من الماء ينزل إليه من سطح المكان، فيصب فيه عند الطبخ، وناهيك بقدور تطبخ كل يوم لألف وثمانمائة وثلاثين شخصاً هم عدد الأيتام في هذه الدار، فيها يقيمون ويأكلون، عدا الموظفين والملتحقين الآخرين.

وتقدم لهم الدار الطعام والشاي يومياً.

ويقيمون كلهم في دار الأيتام في مبانٍ منفصلة للإناث وللذكور، وتقع دار الذكور في أرض واسعة، تشتمل على بنايات كثيرة، مثل فصول الدراسة والمسجد ومباني الإدارة، وتشغل باحاتها أشجار النارجيل والمانجو، كما توجد نباتات الفلفل تتسلق غيرها من الأشجار. وقد أمروا أحد الطلاب الصغار أن يصعد إلى إحدى نخيل النارجيل العالية، فربط في رجله حبلاً أداره إلى النخلة، ثم أخذ يصعد حتى بلغ أعلاها.

وقد سقونا من ماء النارجيل الموجود في الدار بعد ذلك.

وأقاموا حفلاً خطابياً أنشد فيه الأيتام هذا النشيد بالعربية إنشاداً فصيحاً، وإنْ لم تكن بعض كلماته فصيحة، ولا أبياته موزونة، فذلك شكل لا يؤثر على الجوهر بالنسبة إلينا:

برأس عال أهلاً ونصيح هادٍ سهلا
وجميع الحضّار هنا في حفلتنا هذي أهلا
نكرمكم ونحييكم نشكركم ونهنيكم
نرحبكم في ج د ى تى إسلام حفلته هذيكم
تبقى مركز إسلام ترقى مأوى الأيتام
تبعث في خلد الإنسان أشعة روح الإقدام
قام بأمر نشأتها وبأعمال إدارتها
قوم بذلوا كل نفيس مجتهدين لنهضتها
نحن بنيها نرجوكم أن تمتد أياديكم
نحو ترقيها لعلاها تسعدكم وتنجيكم
لم يسعد حقاً إلا من بظلال كلام الله
فلتعليم القرآن هنا تتفق همتها الأعلى
دمت بفضل الرحمن خير أساس الإيمان
تأوي أفئدة للناس إليك دوام الأزمان

وكنا نغالب التأثر فيه، ونحن نرى أمامنا أكثر من ألف يتيم ويتيمة، بعضهم ليس له في الدنيا أحد من الأقارب، وكلهم من المسلمين عدا (٢١) هندوكياً.

كما وجدنا في مطبعة الدار عاملة ذكروا أنها كانت هندوكية فأسلمت قبل سنوات، وتعلمت في الدار ثم اشتغلت فيها، كما أرونا حجرة

فيها أربع نساء يعملن في الخياطة، كل ما يعملنه لملابس الأيتام توفيراً للمصاريف.

وقد تكلمنا جميعاً: الشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ محمد بن قعود، وأنا، في الاحتفال المؤثر، وقد أعلنا التبرع بسبعين ألف روبية لهذه الدار من دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، فقابلوا ذلك بالتصفيق.

وفي الختام تناولنا طعام الإفطار في بيت مدير الدار الشيخ حسن بن عبد الله، وهو ملحق بدار الأيتام، ومن ضمن مبانيها، حتى يكون بالقرب من الأيتام في الليل والنهار.

مقر الجماعة الإسلامية:

ومن دار الأيتام ذهبنا إلى مقر الجماعة الإسلامية في كاليكوت، فوجدنا كبار الجماعة وأميرها في عموم الهند الشيخ محمد يوسف هناك، فتعرفنا عليه، وعلى من لم نكن نعرفه منهم، وبعد كلمتين متبادلتين غادرنا المقر إلى:

مدرسة المعوقين:

وهم الصم والبكم والعمي، وهي دار صغيرة، كل ما فيها ينطق بالعوز والمسكنة، وتضم ٧٩ طالباً ٧٠٪ من المسلمين، والباقون من الهندوك والمسيحيين، وقد أسسها بعض المسلمين، وفعلوا ذلك حتى ينالوا مساعدة الحكومة، لأنهم إذا خصصوها لأهل دين واحد أصبحت مدرسة خاصة لا تستحق من الحكومة مساعدة. ووجدنا ثلاث نساء من الهندوك يقمن بتدريب الصم والبكم على العمل.

بيت المغزل:

أو هكذا ترجموا لنا اسمه بالعربية، وهو مركز لتعليم المسلمات غزل القطن على الآلات الخاصة بالغزل، وجدنا فيه فرقتين من النساء، كل فرقة تتألف من عشر نساء يغزلن باستمرار، وقالوا: إنهن يتعلمن لمدة أربعة أشهر يكن قد أتقن صنعة مفيدة لهن، فإذا استطاعت واحدة منهن شراء آلة فهو المطلوب، وإلا عملت بالأجرة اليومية على آلة غيرها، وقالوا: إن بعضهن تحصلن الآن على أربع روبيات في اليوم.

وهذه فكرة مهمة جداً حبذا لو انتشرت في أكثر البلدان الإسلامية، وهو من الأمر العجيب في الهند التي لا ينقضي العجب منها؛ إذ يعتمد المسلمون اعتماداً كلياً على مجهوداتهم الخاصة، ويبذل الأغنياء ما يستطيعون بذله عن سماحة نفس.

ختان الرجال بالجملة:

بعد «بيت الغزل» توجهنا إلى جمعية التربية الإسلامية «للمسلمين الجدد»، ويختص بتولي أمر من يدخلون في الإسلام حديثاً، فيتعهدونهم بالإرشاد والتعليم، ويأكلون ويشربون لمدة معينة، يقتدون خلالها بالمسلمين في صلواتهم وعباداتهم.

ومن أطرف ما فيه أننا وجدنا إحدى غرفه فيها ثمانية أشخاص قد استلقوا على ظهورهم على الأسرة، وقد جعل في سقف الغرفة خشبة معترضة يتدلى منها حبال، كل حبل مربوط بوسط ثوب أحد الرجال المستلقين، يرفع ثوبه عن جسده بهذه الوسيلة، وقالوا بأن هؤلاء الرجال من الذين أسلموا حديثاً وتم ختانهم معاً، وقد رفعت ثيابهم قليلاً عن أجسامهم لئلا يؤلمهم مس الثوب موضع الختان.

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يرى المرء موضع الجرح أو كيفيته.

وقالوا: إننا نفهم أن الختان ليس شرطاً للإسلام، ولكنه شعار المسلمين، وهؤلاء يقبلون عليه عن طيبة خاطر، مع أنهم رجال كبار السن، رأيت اثنين منهم قد وخط شعرهما الشيب.

يوم الجمعة ٤/ ٥/ ١٣٩٧هـ.

إلى سانتابرم:

ومعنى سانتابرم أرض السلام والطمأنينة، وهي قرية إسلامية صغيرة في ولاية كيرالا تبعد عن كاليكوت بمسافة ٧٠ كيلومتراً إلى جهة الجنوب، فغادرنا فندقنا في مدينة كاليكوت في الساعة السابعة والربع صباحاً، وسرنا في طريق معبد، إلا أن تعبيده ليس جيداً، تحيط به إحاطة كاملة الأشجار الباسقة التي أظهرها النارجيل، وبعدها خضرة متواصلة، ويرى المرء الأهالي وهم خارجون لأعمالهم يهرولون في الطريق، وكلهم قد لبسوا الفوط - جمع فوطة -، وأكثرهم قد رفعوا تلك الفوط إلى مستوى الركبة حتى لا تعرقل سيرهم، وبعضهم لا يرتدون الفوطة، وإنما يلبسون سروالاً قصيراً ليس غير، أما الصدر فهو مكشوف تماماً.

وبعد مضي أربعين كيلو متراً من السير اعترضنا جماعة من المسلمين، وطلبوا منا بإلحاح أن ننزل عند مسجدهم الذي بنوه حديثاً وأسموه « مسجد الأمان » ويقع في قرية تسمى (مونجم)، ولكن الوقت ضيق، فنزلنا لمدة خمس دقائق، ثم واصلنا السير في تلك الطريق التي تكتنفها الأشجار الكثيفة، والخضرة المتواصلة، حتى وصلنا إلى بلدة مالابرم، وهي بلدة أغلب أهلها من المسلمين، سكانها نحو٣٥ ألفاً، رأينا فيها فندقاً مكتوباً عليه بالعربية: (فندق السائحين)، وأهلها مشهورون بالشجاعة، وبأنهم فاقوا الهنادك والإنجليز حتى وصلنا إلى بلدة، سانتابرم، فقصدنا الكلية التي سموها كلية (سانتابرم) على اسم القرية، وقد أسست عام ١٩٥٥م، ويتعلم فيها الطالبات والطلاب، وقالوا إن مستواها هو المرحلة الجامعية وما يمهد لها، وأنهم ينوون أن يجمعوا فيها بين التعليم

الإسلامي والتعليم المدني، والبلدة أغلب سكانها من المسلمين.

وقد تضمن الاحتفال إلقاء كلمات، ونشيد في المسجد، ووضع الحجر الأساس لمساكن الطلاب، ثم تناولنا في الكلية طعام الإفطار المكون من الخبز المحلي ولحم الدجاج والمربى والزبدة، وقد سبقه شرابهم التقليدي الذي هو ماء النارجيل، الذي يشربه الإنسان من ثقب يثقب فيه، وهو بارد لذيذ مرو للعطش.

وفي طريق العودر مررنا على:

المدرسة الإلهية:

وهي مدرسة فيها طلاب وطالبات يدرسون ويسكنون ويأكلون، ويسمونها كلية، والكلية في الهند لا تعني بالضرورة أن تكون عالية كما هو متعارف عليه عندنا، وإنما هي في الغالب مدارس ثانوية المستوى أو متوسطة، وقد قدموا لنا شراب النارجيل الطازج، ثم أخذوا معنا صوراً تذكارية، ثم تفقدنا المدرسة وانصرفنا مسرعين.

وتقع هذه المدرسة في قرية تسمى ودكانقره، وتعني في لغة المليبار القرية الجنوبية، وتقع في موقع من أجمل ماتراه العين، بين تلال ورواب مكسوة كلها بالخضرة.

جامع الخليفة في كاليكوت:

كانت عودتنا مع حلول وقت صلاة الجمعة، فأسرعنا إلى أقرب مسجد جامع من فندقنا، فوجدناه يسمى (جامع الخليفة)، ولا ندري أي خليفة ذلك الخليفة.

كانت الخطبة باللغة الماليبارية وهي التي تسمى (ماليالم)، وكان المسجد ممتلئاً بالمصلين، ويقع المسجد بالقرب من السوق الرئيسي في المدينة، ومما يفرح المرء أننا عند وقت الأذان سمعنا أصوات المؤذنين تجلجل بمكبرات الصوت من أكثر من اتجاه، مما لا تكاد تسمع مثيلا له في بعض البلدان العربية.

اللغة:

اللغة السائدة العامة في مليبار هي اللغة الماليبارية، وتسمى ماليالم أو مالا يا لام، وهذه الكلمة تقرأ بالحروف الإنكليزية من اليمين كما تقرأ من اليسار دون تغيير، وقد تظرف بعض العرب فقال: إن أصل كلمة (مالا يالم) هو (ما لا يعلم) بالعربية، لأنها لغة صعبة الإدراك، صعبة النطق، غريبة الحروف، تشبه إلى حد ما اللغة التاميلية الموجودة في مدراس، وفي أنحاء من جزيرة سيلان، بل هي شقيقة لها، إذْ هما من أصل واحد.

ويدرك الغريب ذلك من شدة التشابه بين اللغتين في النطق، فكلاهما متلاحق الحروف، متلاصق الجمل، وذلك لسرعة النطق بها في أذن السامع الغريب، ويقولون: إن فيها عدة كلمات عربية الأصل، يتعلق أكثرها بألفاظ الديانة والتاريخ الإسلامي، كما يقولون: إن هذه اللغة كانت تكتب بالحروف العربية إلى ما قبل خمسين سنة، ولكن ذلك تغير الآن، فهي تكتب بحروف محلية معقدة.

السكان:

معظم السكان في ماليبار ينتسبون إلى الجنس الهندي الجنوبي الذين يكثر فيهم (الدراور)، وهم سكان الهند القدماء، وهم يختلفون عن أهل

شمال الهند، فأولئك بعضهم أو معظمهم من الجنس الآري، جاؤوا إلى الهند من جهة الشمال.

واللون الغالب على سكان مليبار هو السمرة القاتمة، تخالطها صفرة خفيفة، أما الملامح والتقاطع فلا تكاد تجد لها مثيلاً إلا في سيلان.

وأجسامهم حسنة التركيب، فاليدانة المفرطة، والنحافة المتطرفة الموجودان في شمال الهند لا يوجدان هنا، وإنما الغالب عليهم اعتدال الجسم.

ويلاحظ المرء أن بعض المسلمين يتميزون عن بقية السكان بأنهم أكثر بياضاً، وأبعد عن الملامح الهندية الجنوبية المميزة، ولا غرو في ذلك، لأن بعضهم ينحدر من أصل عربي جاء إلى هذه البلاد منذ عصور قديمة، وإن يكن عددهم قليلاً بالنسبة إلى بقية المسلمين.

ويبلغ عدد السكان في ولاية كيرالا (المليبار قديماً) عشرين مليوناً.

أما النساء في تلك البلاد، فإنهن يتميزن بالشعور الطويلة التي قال بعضهم إنه ربما كان سبب طولها أنهن يستعملن زيت النارجيل في الادّهان، وفيما عدا ذلك فإن نسبة الجمال فيهن ليست بالنسبة المرتفعة، على أن الجمال والملاحة أمر نسبي، يتحكم فيه الذوق والشعور، وتتغير مقاييسه من شعب إلى شعب، ومن فرد إلى فرد.

العلاقة بين المسلمين والهنادك في كيرالا:

لا توجد في الهند ولاية أخرى تقل فيها الاضطرابات الطائفية بين المسلمين والهنادك مثلما تقل في كيرالا، وذلك بخلاف ولايات الهند الوسطى والشمالية والشرقية، مثل كجرات، والبنغال الغربي، وبيهار،

وأترا برديش؛ حيث تكثر الاضطرابات التي تتطور إلى قتال بين الطائفتين، وإحراق المتاجر والممتلكات، وأحياناً تصل إلى أن يقوم الهندوك بإحراق المسلمين.

وكانت الاضطرابات تكون في السابق بسبب البقر الذي يقدسه الهندوك إلى درجة العبادة، ويذبحه المسلمون يتقربون بذلك أيام عيد الأضحى، كما يذبحونه للأكل في الأيام الأخرى المعتادة.

ولذلك حرمت أكثر الولايات الهندية إيذاء البقر، فضلاً عن ذبحها وبيع لحومها، وذلك بخلاف ولاية كيرالا، فإنها أباحت ذبح البقر وبيع لحمه في السوق، وإن كان الهنادك فيها لا يأكلونه.

بل أن العلاقة ما بين المسلمين والهنادك في كيرالا تسودها الصداقة والانسجام في كثير من الأوقات، كما هو حاصل الآن.

إذ تحترم الأكثرية الهندوكية مشاعر الأقلية العددية المسلمة، وتشاركهم المناسبات الإسلامية كالأعياد ونحوها.

وقد سجل علماء المسلمين وأدباؤهم ذلك، ومنه ما ذكره أحد شعراء كيرالا بالعربية الشيخ أحمد بن كنجي

لله دَرُّكِ أنتِ أوتبتِ العلا ... فلقدْ جَمَلْتِ طبيعةً ياكِيرلاَ
نشتاقُ ماءَكِ فهو أحْلَى مَشْرباً ... وجَنَاكِ نَهْوَى فَهْو أحْلَى مأكَلا
كَمْ لأستراحةِ مُستريحٍ فيكِ مِنْ ... ظلٍّ ظليلٍ حبَّذا مُتَظلَّلا
كمْ مسجدٍ وكنيسةٍ قد عَانقَا ... ياكيرلا الحسناءُ فيك الهَيْكلا
فيعيش فيك الساكنون وإن تكن ... أديانهم شتى ذوي صدق الولا
كمْ مِنْ أديبٍ جهْبَذٍ أنجَبْتِهِ ... سُقيَ البلاغةَ مُنْهَلاً ومُعَلَّلا
ياكيرلا نهواكِ حُبّاً صادقاً ... كالظَّامئِ الصَّدْيان يهْوَى المَنْهَلا

الغيث المدرار في بلاد المليبار:

قبل غروب الشمس اسودت السماء واربدَّت، ثم رعدت وأبرقت حتى أصعَقَت، ثم انهمر المطر انهماراً، واستمر مدراراً لمدة أربع ساعات ونصف دون توقف.

ويمكن القول مع شيء من المبالغة أن المرء يستطيع أن يكتب الرسائل وأن يقرأها على ضوء البرق الذي لم تخبُ ناره، ولم يطفأ أواره طول الساعات المذكورة.

هذا ونحن في مليبار في موسم غير موسم الأمطار، فما ظنك بالموسم وأمطاره ؟ وما قولك في فيضان أنهاره ؟.

إن هذا المطر الذي انهمر هذه الليلة لو نزل عندنا نصفه لعده الناس تاريخاً من التاريخ، يرويه الأطفال عندما يصبحون من الشيوخ، وتؤرخ به الأحداث، ويذكر، وقد ينسج حوله قصص تصبح من التراث.

ولكنهم في ماليبار، لا يعتبرونه أمراً ذا اعتبار، لأن بلادهم كثيرة السيول والأمطار، فسبحان الخالق الجبار.

يوم السبت ٩٧/٥/٥هـ الموافق ١٩٧٧/٤/٢٢هـ

إلى بنقلور:

خرجنا من فندقنا في مدينة كاليكوت، وهو فندق (ستي كوين هوتيل)، أي فندق ملكة البحر، في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً، قاصدين مدينة بنقلور بطريق السيارات.

وقد أخبرونا أن المسافة هي ثلاثمائة وخمسون كيلاً، ولكنها لا تقطع إلا في تسع ساعات، رغم أن مثلها تقطعه السيارات عندنا في ثلاث ساعات، وذلك للفرق بين السيارات في بلادنا وبلادهم، وبين الطرق عندنا وعندهم، وبين ناسنا وناسهم، ولمخالفة طبيعة بلادنا لطبيعة بلادهم، بأن الطرق لديهم ضيقة، وتحف بها الأشجار الملتفة، وتكثر القرى والمساكن على حافاتها، كما يوجد المشاة يسيرون عليها إضافة إلى عربات الثيران والدراجات العادية اللذين هما وسيلة الركوب الشائعة في الهند.

ولعل من لطف الله تعالى بهم أن عدد السيارات التي تسير على تلك الطرق قليل، وإلا أصبح السير في بلاد الهند من أصعب السير في العالم.

سرنا من كاليكوت في طريق بدأ يرتفع بنا شيئاً فشيئاً، ونظر مرافقنا إلى جبال شاهقة أمامنا وقال: الآن نحن متجهون إلى قمم هذه الجبال، وأن علينا أن نقطعها، وإذا بها جبال شاهقة مكسوة بالأشجار الكثيفة.

وهكذا بعد مضي بعض الوقت من كاليكوت أوقف السائقان سيارتيهما، وأخذا يرويانهما من الماء وقالا: إن هذه استعداداً للصعود للجبل، واغتنمنا الفرصة واشترينا من كوخ هناك مبني على شكل حانوت

بعض الموز.

وفي هذه القرية التي يسمونها (أودي وارم)، ومعناه: أسفل الوادي بدأ صعود الجبل الجميل.

وهو جبل عالٍ معترض من الشمال إلى الجنوب، ويعتبر الحد الطبيعي لولاية كيرالا (ماليبار سابقاً) من جهة الشرق، تجلله الخضرة الكثيفة، وتكلله القمم العالية التي لا تجد فيها موضعاً عارياً من الخضرة، ولا غرو في ذلك، لأنه لا يفصل بينه وبين أبخرة البحر(بحر العرب) فاصل.

ومما زاده جمالاً، وكساه جلالاً قلانس من الغيم الأبيض الرقيق على قممه كأنها التيجان الألماسية على رؤوس مهراجات الهند وأغنيائها المشهورين في التاريخ، وهي كذلك تتحرك وتنتقل كما انتقلت الدنيا بأولئك الملوك والمهراجات الهنود، ويزيد الصورة بهاء أخاديد ووديان سحيقة خضراء تلثم أقدام الجبل الأشم.

وبعد مضي ٤٨كيلاً على سيرنا من كاليكوت ونحن في عرض الجبل، رأينا أشجار المطاط هناك، إلا أنها ليست من الضخامة والكبر كتلك التي رأيتها في بلاد الملايو.

كيف يرممون الطرق؟

مررنا بفرقة لترميم الطريق، فإذا بهم يطبخون الزفت في قدور كبيرة من الحديد الذي أعتقد أنه من مخلفات البراميل، وذلك بإيقاد النار عليه بالحطب العادي الذي هو متوفر بجانب الطريق.

ثم يغرفون بأوانٍ صغيرة من الحديد أشبه بالسطول - جمع سطل - فيحمله عمال ضعاف الأجسام، وبعضهم ليسوا من الشبان، ويضعونه في

الأرض ثم يفرقونه، وقد رأيت بعضهم يفرقونه بأيديهم، ولا أدري كيف يكون ذلك وهو حار.

أما آلات رصف الطرق هنا فليس لها وجود على الإطلاق، ما عدا الرصَّاصة.

وهكذا يرممون الطرق بأرخص الأسعار، لأن أجور العمال متدنية في الهند، وبخاصة العمال غير المهرة، أو قل لأن الآلة البشرية هي فيها أرخص الآلات.

القهوة والهيل في مزرعة واحدة:

الدلة: اسم لآنية صنع القهوة في بلاد العرب، وإذا ذكرت تلك الآنية ذكر الهيل مع القهوة، فهو بهارها وأبزارها، وقومنا لا يشربون القهوة دون الهيل، بل هم يذمونها من دونه، ولذلك وصف شاعرهم العامي القهوة التي ليس فيها هيل بأنها مثل العجوز ذات الأنفاس الكريهة، فقال من قصيدة:

والقهوة اللي ما تْبَهَّر من الهيل مثل العجوز اللي خبيثٍ نسمها

ولكن بعض قومنا يسرفون في إضافة الهيل إلى القهوة، حتى يخيل إليك أنك تشرب هيلاً فيه قهوة، وليس قهوة فيها الهيل.

إذاً القهوة والهيل متلازمان يقدمان معاً، تكرمة للضيف، وتعلةً للمهموم، وآنيتهما زينة المحافل، وعنوان الكرم.

وكنت أظن أنهما لا يتلازمان إلا في ذلك المكان، وإذا بهما أيضاً متلازمان متجاوران، بل يكادان يختلطان في المنبت أيضاً، أو قل إذا بهما متلازمان من المهد إلى اللحد.

لقد وقف مرافقنا ودليلنا في هذه الرحلة، وهو الأستاذ عبد العزيز

تايل، وقال: انظروا هذه أشجار القهوة وهذه أشجار الهيل بجانبها.

أما شجرة القهوة فقد رأيتها ووصفتها في كتابي ((في إفريقية الخضراء)) وأما شجرة الهيل فهذه أول مرة أراها، إنها شجرة أشبه ما تكون بشجرة الذرة الحبشية، إلا أنها أكبر حجماً، وأعرض أوراقاً، وأعلى ذهاباً في السماء، وثمرها أو قل حبها يخرج في وسطها وأسفلها، أي ليس في أوراقها، وإنما في سيقان الأغصان.

والشاي أيضاً:

ووقفنا: زملائي الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، والشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود، وأنا ننظر إلى هاتين الشجرتين المتمازجتين أصلاً وفرعاً، ونظرنا إلى شيء بجوارهما آخر ملازم لهما أحياناً، ومنفصل عنهما أحياناً أخرى، وملازمته لهما في بلادنا أكثر من انفصاله، ذلك هو الشاي، فقد وقفنا نتفرج برؤية أشجاره الجميلة التي قُصَّت على نمط واحد، حتى كأنها رؤوس العذارى الجميلة، فرغ منها مزين حاذق في صنعته، وقد سألنا عن الحكمة في قصها هكذا، فقالوا: لكي تخرج أوراقاً صغيرة حديثة هي التي تقطف، وتكون صالحة لصنع الشاي، أما الأوراق الكبيرة فإنها غير صالحة.

ولم يكن يفصل بين أشجار الشاي وأشجار القهوة والهيل إلا الطريق الضيق، وكانت هذه فرصة لرؤية أشجار الكيف وهي نامية حية في مواطنها الأصلية.

عند ذلك طرأت على ذهني أبيات لأخي الشيخ سليمان بن ناصر العبودي قالها في تفضيل الشاي على القهوة وذكر الهيل، وهي:

ألا صبوا من الشاهى فشاي الصبح نبغيه

لذيذ الطعم، سهل الهضم ... لا يؤذي بصنعٍ من يسويه
فكم من متعب يشكو ... صداعاً كاد يرديه
يسيل الدمع من عينيه، بالشاهي يداويه
وأما البُنُّ يا هذا ... ففيه بعض تنبيه
ولكن من يسويه ... يعاني ما يعانيه
من التحميس والسحق ... وبعد السحق يغليه
وبعد الغلي والتبهير ... بالهيل يصفيه
وكون البن مر الطعم أيضاً من مساويه

أنزلونا في استراحة في الطريق هناك يظهر أنها جزء من فندق، وسقونا الشاي مع بعض الحلوى والموز، ثم ذهبوا بنا إلى مسجد بدأ بناؤه ولم ينته، وقالوا إنه يحتاج إلى مساعدة لإتمام بنائه، ثم أعطوا كل واحد منا هدية تذكارية، وهي قليل من العسل، قالوا إنه من (مدفع السلطان) ! وهي قرية هذا معنى اسمها.

إلى الطريق ثانية:

ثم انطلقنا في طريقنا المرسوم، فكنا نرى النساء يحملن على رؤوسهن الحزم من الحطب الجزل، تكاد تنوء بها أجسامهن، بل لا تكاد تجد واحدة منهن تمشي معتدلة لثقل ما على رأسها من الحطب. قال لنا مرافقنا هو والسائق: إنهن يجمعنه من الغابة، ويبعنه في القرى، لأنه الوسيلة الوحيدة الشائعة للطبخ، أما مطابخ الغاز فغير موجودة عند عامة الناس.

وقد سألنا عن متوسط قيمة ما تجمعه المرأة، فقالوا: إنه ثلاث روبيات، أي ريال وربع.

إن هذا المبلغ زهيد في بلادنا، ولكنه في بلادهم يسد من عوز، ويكفي من حاجة يومية، وسبحان من يعطي من شاء ما شاء.

ثم وقفنا ليرينا دليلنا شجر خشب الساج الذي كان أول خشب نعرفه في بلادنا، يأتينا من الخارج، ولم نكن في ذلك الوقت ندري من أين كان يأتي، وشجرته كبيرة شامخة في السماء، مستقيمة الأصل، تتفرع منها فروع ليست بذات استقامة، ولها أوراق عريضة خضر.

حواجز بين الولايات:

أوقف السائق السيارة أمام حاجز على الطريق عنده جندي واقف، وبجانبه مركز للشرطة، ثم فتح لنا الطريق دون أن يكلمنا بشيء، وقالوا لنا: إن هذا معناه أنكم تخرجون من ولاية كيرالا، وعما قريب تدخلون إلى ولاية (كرناتك).

وهذه الحواجز هي بمثابة نقاط التفتيش عن إدخال شيء ممنوع إلى الولاية، أو إخراج شيء ممنوع أن يخرج منها، وضربوا لنا مثلاً على ذلك بالصندل الذي تمنع ولاية (كرناتك) إخراجه منها إلا بمعرفة حكومتها.

وبعد قليل دخلنا إلى حاجز الدخول إلى ولاية كرناتك، وللحديث عن تلك الولاية مكان آخر في كتاب آخر من سلسلة الرحلات الهندية هذه، وهو كتاب: ((جنوب الهند)).

إلى ماليبار ... ثانية

سبب الرحلة:

أما سبب هذه الرحلة فإنه تلبية دعوة كريمة تلقيتها من المنظمات السلفية في كيرلا، لحضور مؤتمر لها كبير، تريد أن تقيمه في مدينة (كوتي برم) على شاطئ نهر باراتاه المقدس عند الهنادك، وكان الإخوة من أهل هذه الناحية الجنوبية من الهند قد قدموا إليَّ عدة دعوات في مناسبات متعددة لزيارة (ماليبار)، والاطلاع على المؤسسات الإسلامية فيها، والتعرف على العلماء والدعاة فيها، فكانت تقوم موانع من ارتباط بموعد سابق، أو من شغل شاغل، أو من زيارة لبلد فيه مسلمون، ولكن ليس فيه من العلماء والدعاة مثل الذين في ماليبار. حتى تلقيت هذه الدعوة فسارعت إلى الاستجابة لها، مؤملاً أن أنتهز الفرصة لأزور ولاية أو ولايتين من ولايات الهند القريبة منها.

وهذه صيغة الدعوة التي تلقيتها منهم:

بعد التحية والإكرام والتقدير، يسر أسرة السلفيين بكيرالا، الهند أن تفيدكم أن المنظمات السلفية الأربع (جمعية العلماء، ندوة المجاهدين، اتحاد الشبان المجاهدين، حركة الطلبة المجاهدين) قررت عقد مؤتمر سلفي دولي للدعوة والتعليم والتثقيف والتوعية الإسلامية، ولفت أنظار غير المسلمين إلى محاسن الإسلام وميزاته، وشموليته وصلاحيته لكل زمان ومكان ولكل طبقة.

وينعقد المؤتمر في ضفة نهر بهارتا (BHSRATHA) في مدينة كوتيبورام (KUTTIPPURAM) بالقرب من الطريق الرئيسي الوطني (NATIONAL HIGHWAY)، ومن محطة القطار في ولاية كيرالا، الهند، وذلك في الفترة من أوائل جمادى الأولى في أربعة أيام، الموافق لـ ١، ٢، ٣،

٤ يناير ١٩٧٨م يوم الخميس، ويوم الجمعة، ويوم السبت، ويوم الأحد، ويحضر المؤتمر الوفود من البلاد الإسلامية، ومن جميع ولايات الهند، ويقام فيه معسكر تثقيفي لأربعين ألف مندوب، ويحضر في الاجتماعات العامة أكثر من نصف مليون مسلم إن شاء الله تعالى، وتلقى فيه المحاضرات والبحوث حول مشاكل المسلمين وقضاياهم الراهنة، والاقتصاد الإسلامي، وتنميته، وحول تصحيح العقائد، ورفض البدع والخرافات، وأهمية الرجوع إلى تعاليم القرآن والسنة، وبيان الفرقة الناجية من بين الفرق الإسلامية، وحول المفتريات التي يبثها الأعداء بين أبناء المسلمين، وما إلى ذلك.

نتشرف بتوجيه الدعوة إلى سيادتكم لتشريفنا بالحضور، وبالاشتراك الفعال على برامجه.

والله ولي التوفيق، وبه نستعين، والسلام.

أخواكم المخلصان

١-الدكتور عثمان بن محمد موركان

رئيس ندوة المجاهدين

٢- محمد بن أحمد

الأمين العام لندوة المجاهدين

يوم الخميس ١/٤/١٤٠٧هـ ١/١/١٩٨٧م

من بومبي إلى كوشن:

صعدنا في مطار بومبي لطائرة الخطوط الهندية الداخلية المسماة (إنديان أيرلاين)، وهي غير خطوط الهند الخارجية الشهيرة، واسمها أير إنديا، وطائرتها من طراز بوينج ٧٣٧.

فوجدنا مقاعد الطائرة ضيقة، وهو أمر عرفته من الطائرات الهندية في الداخل، يفعلون ذلك من أجل زيادة صفين أو ثلاثة من المقاعد في الطائرة حتى تستوعب أكبر عدد ممكن من الركاب، ولكن الذي لم آلفه فيها ورأيته في هذه المرة، هو أن مقاعدها متسخة، ويظهر أنهم لم ينظفوها، فضلاً عن أن يغيروها منذ مدة، وكانت المشكلة في الحقيبة اليدوية، لأنه صعب عليَّ إدخالها تحت المقعد لضيق المساحة، فهي لا تكاد تتسع إلا لرجلي الراكب إذا لم يكن طويلاً، فإن كان كذلك فإنه سيلاقي التعب من عدم وجود مجال يمد فيه رجليه مداً كاملاً.

وقد حلوا المشكلة بالنسبة إليهم، إذْ يدخلون حقائب الأيدي وغيرها من الأمتعة اليدوية في الرفوف التي فوق رؤوس الركاب، ولكنني أنا أحتاج إلى حقيبتي في الكتابة ونحوها.

وهذا ما كنت أفعله في العادة، إلا أنني عندما أردت وضع حقيبتي في الرفوف كانت قد امتلأت كلها قبلي، وليس في الطائرة درجة أولى، بل كلها درجة سياحية، فأركبوني في السياحية رغم كون تذكرتي هي في الدرجة الأولى.

وكانت المضيفة نَصَفاً مترهلة، والنَّصَفُ هي تلك التي في منتصف

العمر، وهي متزوجة، أو قد سبق لها ذلك.

وهذا أمر صار يعرف عند الهندوكيات دون سؤال، إذْ يقولون: إن العلامة الملونة على جبينها تدل على ذلك.

وكانت تقدم الصحن الذي فيه الضيافة المعتادة في مثل هذه الطائرات الهندية وهي عابسة أيضاً، وضيافتهم حلوى معتادة، وكراوية، وهي التي نسميها بجب الحلوة في القصيم.

وقد عانيت من رائحة الصنان، وهي الرائحة المكروهة التي تنبعث من جسم الإنسان إذا كان بعيد العهد بالاغتسال، وقد عرق الناس بسبب الزحام في الطائرة، وعدم التكييف فيها قبل الإقلاع، فمقاعدها كلها مشغولة دون استثناء، وقد عانينا من الحجز لولا أن مكتب الخطوط السعودية في بومبي تولى ذلك بناء على طلب من القنصلية السعودية في بومبي، لأن هذا اليوم الخميس هو اليوم المقرر لافتتاح مؤتمر المنظمات السلفية في (كوتي بروم) في ولاية كيرالا الذي سنذهب إليه.

وقد أعلنت الطائرة وهي تهم بالإقلاع أن المسافة بين بومبي وكوشن في كيرالا تستغرق ساعتين وخمساً وعشرين دقيقة من الطيران، وكان إعلانهم بالهندية ثم الإنكليزية.

ثم أقلعت في الثانية وعشر دقائق ظهراً متخلفة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل بساعة وأربعين دقيقة، إذْ كان المقرر حسب الحجز الموضوع على التذكرة من مكتبهم في بومبي هو في الثانية عشرة والنصف.

وعندما نهضت من المطار كان تطير مباشرة فوق أجزاء من مدينة بومبي بأبنيتها العالية في القسم الحديث منها الواقع على الشاطئ، ثم مرت

فوق أحياء رديئة ذات بيوت متطامنة، تعلوها أسقف من الصفيح الصدئ.

ثم عطفت يساراً فصارت تطير قرب ساحل البحر متجهة جهة الجنوب إلى كيرالا.

وكانت المناظر غير بهيجة داخل الطائرة، فقد انضمت إلى المضيفة مضيفتان شابتان، غير أن لباسهما كلباسها ذو منظر مؤذٍ للنظر، فهو من الساري الهندي الطويل الذي تنسف المرأة جزءاً منه على كتفها يتدلى دون فائدة، على حين يكون جزء منه دائراً حول جسمها عارياً من اللباس تماماً، تبين منه طيات بطنها المسترخية البارزة، وذلك أنهن يلبسن مع الساري قميصاً قصير الأكمام، وهو قصير لا ينزل إلا أسفل الثديين قليلاً، وقد اشتركت في المضايقة ذبابات بومبي الملحة، كأنما أرادت أن تشارك المسافرين متعة السفر في هذه الطائرة الهندية، أو تشترك معهم في متاعبه.

وذكرت بهذه المناسبة طائرات البرازيل في خطوطها الداخلية - عمرها الله - وأهلها الذين يتميزون بالذوق الرفيع، إلى جانب النظافة في الأبدان والثياب، والسخاء في الضيافة، وهم مع ذلك لا يشعرونك بأنهم كالأوروبيين الذين يشعرون بالتفوق على الآخرين، وإنما يشعر البرازيليون أنهم مثلك ينتمون إلى العالم الثالث، ولكنه ليس عالم الهند الذي له طابع خاص في الذوق، بل في الحياة، لا يميل إليه إلا أهل الهند، أو من اعتاد على الحياة في بلادهم.

أما الضيافة فإنها، مع كون الوقت وقت غداء، كرة أكبر قليلاً من حجم البيضة من البطاطس المطحون، في وعاء به مقدار ضئيل من الخضرات، وقطعة صغيرة من الحلوى.

ثم فنجان من الشاي أو القهوة، وقد أتينا عليها كلها، ولم تسد

جوعة، لأن الوقت هو وقت الغداء، وقد انتظرنا طويلاً في قاعة المغادرة قبل الطيران.

هذا وقد استمر طيران الطائرة فوق ساحل الهند الغربي في جو صافٍ، ولكنها كانت مرتفعة؛ بحيث لم يمكن الاستمتاع باستجلاء المناظر على الأرض.

حتى قاربنا الوصول فبدأت الطائرة تتدنى إلى الأرض، فرأينا نهراً واسع المجرى، ضحل المياه، يصب في البحر الذي هو بحر العرب، أو بحر الهند، كما كان أسلافنا العرب يسمونه.

وتبين أن هذا النهر هو المسمى نهر (بارتا) أو (بهارتا) على أسم الهند القديم في هذه المنطقة، إذ كانت تسمى البلاد الهندية هنا عند الهنادك في القديم (بارتا) أو بهارتا، والهاء عندهم هذه ليست هاء واضحة صريحة كالتي تكون عندنا مثلاً في كلمة النهار، بل هي أشبه بشهقة خفيفة لا تبين، وقد تحذف عند ترجمة الأعلام التي توجد فيها، مثل نهر (بارتا) هذا، ومثل (داكا) عاصمة بنقلادش، فهم ينطقون باسمها أشبه ما يكون (بدهاكا) بإثبات الهاء المذكورة التي تشبه الشهقة القصيرة وليست هاء صريحة، وقل مثل ذلك في اسم (بهوبال) التي كانت عاصمة الملك أو النواب صديق حسن خان - رحمه الله -، وهي الآن عاصمة ولاية (مادهي) برديش بمعنى وسط الهند، فإنك إذا سمعتهم يلفظون اسمها خيل إليك أنهم يقولون (بوبال) بدون هاء.

والساحل تحتنا كله معمور، بل لا ترى فيه موضع قدم دون عمارة من زراعة أو قرى أو أشجار مغروسة أكثرها مثمر كالنارجيل والعمبة (المانقو).

ثم صرنا نطير فوق مستنقعات بجانب البحر وأحواض أرز غارقة في

المياه.

ثم اتسعت المستنقعات بجانب البحر، واتسعت حقول الأرز حولها في الداخل، وصارت الأشجار تبدو ملتفة، مما يدل على خصب المنطقة وكثرة أمطارها وأنهارها، غير أن منازل الريف فيها سيئة المظهر، وعند النزول كانت الطائرة تطير فوق البحر، فلم أرَ مدينة كوشن من النافذة التي كنت راكباً فيها.

وكان نزول الطائرة سيئاً، إذْ ضربت أرض المطار بقوة فزع منها الركاب، ثم قفزت إلى الأمام قفزة قصيرة استقرت بعدها في المطار استقراراً طبيعياً.

وربما كان نزولها هذا السيئ هو بسبب قصر المدرج فيه، أو لا أدري.

في مطار كوشن:

مما يلفت النظر من مدارج المطار أن الخصب والخضرة النضرة هو الطابع المميز لهذه المنطقة أكثر من بومبي التي لا يبدو الخصب من مطارها.

فالمنطقة التي تحف بالمدارج ذات حشائش وأعشاب كثيفة نامية، ورأيت طائفة من العمال أو الفلاحين قرب المدارج قاعدين على أقدامهم ومقاعدهم، وقد نضبوا أرجلهم، وهي الجلسة التي تشبه الإقعاء، وأسميتها (العقدة الهندية)، لأنني كنت رأيتها تكاد تكون عامة في أهل الهند كلهم من كيرالا في الجنوب إلى كشمير في الشمال، مثلها في ذلك مثل الإكثار من الفلفل في الطعام الذي هو السمة الغالبة على الطعام في جميع أنحاء الهند.

كما أن أبنية المطار متواضعة متطامنة، فهي من طابق واحد غير جيد ولا مجدد، ما عدا برج المراقبة بطبيعة الحال، فهو عالٍ معتاد في علوه.

وبالقرب منه خارجاً عن ساحة المطار مما يلي المدينة أبنية بيض الطلاء متعددة الطوابق، أحسن منظراً من أبنية المطار.

وقد ضاقت قاعة الوصول بركاب الطائرة، رغم كونها نفاثة صغيرة، وأبطأوا في إحضار الأمتعة.

ووجدت في استقبالي في المطار بعض الإخوة من أهل المنطقة - جزاهم الله خيراً -، وبعضهم من العاملين في تنظيم مؤتمر المنظمات السلفية الذي قدمت من أجله.

فكان منهم الأخ (حسين أبو بكر كويا)، يعرف العربية جيداً، لأنه متخرج من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، والأخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر من العاملين في إمارة الشارقة، يعرف العربية أيضاً، وجاء ليساعد في تنظيم المؤتمر أيضاً، ومعهم الشيخ عبد الحميد عبد الجبار، وهو من تلامذتي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومن أوائل المتخرجين فيها، وكان أميناً لجمعية أهل الحديث في الهند، ويقوم الآن على مشروع إسلامي في مدينة دلهي.

ومن الغريب غير المألوف أنهم أخذوا ثماني روبيات هندية رسماً على حقيبتي، وصندوق فيه كتب وتمر، وذكروا أنهم يأخذون أربع روبيات رسماً على كل قطعة من الأمتعة التي تصل إلى مطارهم، لا يخرج بها صاحبها من قاعة الوصول إلا بعد أن يبرز ورقة تثبت أنه دفعها لمكتب هناك.

في مدينة كوشن:

قرب الإخوة الكرام سيارتين صغيرتين، قالوا: إن المؤتمر وضعهما لضيافتي ومرافقي، ظناً منهم أنني سأحضر معي مرافقاً، فانطلقنا إلى المدينة فوق جسر على خليج في البحر يفصل منطقة المطار عن المدينة، لأن المطار واقع في جزيرة.

واخترق الطريق ريفاً يشبه الريف في المناطق الاستوائية، مع أن هذه البلاد تبعد عن خط الاستواء، وهو عنها إلى الجنوب، لكن الظروف المناخية من رطوبة البحر، وكثرة الأمطار، ووفرة المياه جعلته يبدو كالريف الاستوائي في التفاف أشجاره، وكثرة الزراعة في أرضه.

وزاد من شبهه بالمناطق الاستوائية وجود الأشجار التي تكثر في المناطق الاستوائية من الموز والنارجيل.

ووصلنا المدينة بسرعة، لأن المطار غير بعيد منها، أو أن منازلها قد زحفت إليه، وأغلب منازلها من طابقين أو ثلاثة عندما قربنا من قلب المدينة.

وأنزلنا الإخوة في فندق (آباد بلازا)، وكانوا حجزوا لنا فيه، وذكروا أنه يملكه أحد الإخوة السلفيين، اسمه (رياض أحمد)، وأنه يملك أيضاً فندقاً آخر في المدينة.

ووجدنا الإخوة - جزاهم الله خيراً - قد أعدوا الأمر بغداء جيد في الفندق، أصبنا منه ما لم نصبه من الغداء في الطائرة.

والفندق جيد يعد من فنادق الدرجة الأولى، ومطعمه نظيف ومرتب.

ثم أدينا صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً، وأمضينا راحة قصيرة في غرفتي مع الإخوة المستقبلين، لأنهم كانوا جاؤوا من مقر المؤتمر على بعد ١٤٠ كم من كوشن، من أجل استقبالي واصطحابي إلى المؤتمر.

إلى بلدة كوتي بروم:

وهي مقر المؤتمر الذي حضرت من أجله، وسوف يفتح في مساء هذا اليوم، وكانوا ينتظرون وصولي، وقد قرروا أن أرأس الجلسة الافتتاحية، وفي الساعة الرابعة عصراً غادرنا فندق (آباد بلازا) قاصدين كوتي بروم، وكان معي في السيارة الأخ عبد الحميد عبد الجبار، وهو يجيد العربية كأبنائها، ولكنه ليس من أهل هذه المنطقة، ولا يعرف لغتهم التي هي (مالا يالم)، وإنما هو مقيم الآن في دلهي، والأخ حسين أبو بكر من المنطقة، وسائق السيارة أيضاً من هذه الولاية، وهو نصراني اسمه (لومي)، وشخص ثالث مسلم من أهل هذه الولاية أيضاً، وقد ذكروا أن النصارى يزدادون في كيرالا، وإن نسبتهم في هذه المنطقة التي نحن فيها من الولاية قد تصل إلى ٣٢٪.

وكانت السيارة من طراز (امباسادور) المصنوع في الهند، وقد ألفت الركوب فيها، ولا تسرع في السير في العادة، إضافة إلى أن عدم الإسراع في السير على طرقات الهند هو الشائع على وجه العموم، وذلك لسوء الطرق وضيقها في العادة، ولوجود عوائق في الطرقات من عربات النقل إلى المواشي، والأشخاص الذين يستخدمون الطرق.

وهذه الطرق تخترق في أكثر الأحيان، وبخاصة في ولاية خصبة مثل ولاية كيرالا هذه، مناطق معمورة بالزراعة والمنازل، فيكثر فيها مرور الناس والمواشي.

وشيء آخر في صناعة هذه السيارات الهندية، وهي أنها ليست مرنة في الحركة ولا في الوقوف، لذلك تجد السائق يلح ببوق سيارته على من يكونون في الطريق من مسافة بعيدة، لخشية أن يصل إلى مسافة قريبة منهم، ويصعب عليه أن يقف بسرعة دونهم.

واخترقنا وسط مدينة (كوشن) ذا الأبنية الجيدة المطلية بالطلاء الأبيض، ثم خرجنا إلى الريف الذي هو معمور مسكون، ولكنه غير متلاصق المنازل.

ريف كوشن:

وهذا الريف يشبه ريف البلدان الاستوائية كما قدمت، وأشجاره نضرة، من أكثرها ظهوراً النارجيل، والموز، والعمبة (المانجو)، وأشجار الفوفل التي تشبه على البعد أشجار النارجيل، غير أنها أدق منها سوقاً - جمع ساق -، وتختلف عنها فرعاً.

والفوفل هذا يوضع مع أوراق التنبول والتمباك الذي هو التبغ الذي يدخن، غير أنهم يستعملونه هنا مسحوقاً، ويضيفون إليه أشياء أخرى تؤلف التنبول المعروف الذي يضعونه في أفواههم، ثم يأخذون في رمي البصاق الأحمر القذر المنظر والمخبر على أرضهم، وهو يتحلل في أفواههم، ويصل ضرره إلى صدورهم وبطونهم، فيرصعون شوارع مدنهم وقراهم بهذا البصاق التنبولي الأحمر، بدلاً من نثر الزهور فوقها، كما يفعل أهل البلاد الذين يتمتعون بذوق رفيع.

وقد أنشدني الأخ (حسين أبو بكر) بيتاً من الشعر لصديقنا محمد أحمد، أحد زعماء السلفيين في المنطقة، وهو أحد القائمين على هذا المؤتمر، بل هو الذي وجه الدعوات إلينا لحضور المؤتمر، وذلك في الأجزاء التي يتألف منها التنبول هذا، ويسمونه بعد خلطه (موركان)، قال:

إلا إن أركان (الموركان) تنبل وتبغٌ مُضِرٌّ، نورة، ثم فوْفَلُ

فذكر أخلاطه الأربعة، وهي: أوراق التنبول، والتبغ، والنورة، والفوفل.

ورأينا هنا شجرة لا يستغرب وجودها، وإنما يستغرب غيابها عن أرض الهند، وهي لا تغيب إلا عن أرض شمال الهند، وهي شجرة التمر الهندي الشهير الذي أخذ الأوروبيون اسمه من العرب، وتفننوا مثل غيرهم في استخراج الشراب الشائع منه، وهو شراب التمر الهندي، وذلك عندما غرسوه في مستعمراتهم ذات الجواء - جمع جو - الشبيهة بجو الجنوب الهندي.

ورأينا التمر الهندي مثمراً، ولم نقف عنده.

بلدة آلوى:

وهذه البلدة لم نقف فيها أيضاً لضيق وقتنا عن ذلك، ومن أهم معالمها جسر حديدي تغطيه أقواس ضخمة من الحديد لتثقله وتثبته، كما هي العادة في الجسور الحديدية القديمة، وهو على فرع مياه بحيرة عذبة قرب البلدة.

ثم مررنا فوق جسر على نهر اسمه (منقولابويا)، ذكروا أن هذا الجسر أقيم بعد استقلال الهند في عام ١٩٤٧م على عهد الرئيس الهندي (رادا كرشنا).

البقرة والثور في كيرالا:

أغلب السكان في كيرالا هم من الهنادكة الذين يعظمون البقرة، بل يقدسونها، ولكنهم في الوقت نفسه يهينون الثور الذي هو ابن البقرة وأبوها وأخوها، كما يفعل الهنادكة الآخرون في سائر أنحاء الهند.

غير أنهم في هذه الولاية لا يمنعون ذبح البقرة، بل يتركون للمسلمين والمسيحيين أن يذبحوها ويبيعون لحمها علناً، ولم تكن تحدث هنا

اضطرابات طائفية بسبب البقر، كما كان يحدث في شمال الهند، وقيل لنا: إن ذلك هو بسبب كون الهنادكة هنا هم من أهل الهند الأصلاء المعروفين باسم (دراور)، وليسوا من الآريين الشماليين.

نقول هذا لمناسبة ما رأيناه الآن، وهو عدد من الثيران المنهكة بالعمل الهزيلة في نفسها.

ووقفنا في محل هنا شربنا منه شراباً بارداً، ورأينا من الأشياء الواضحة في قرى هذا الطريق عربات الركشا، وهي ذات العجلات الثلاث التي يسوقها شخص يدفعها بقدميه، وخلفه شخص أو شخصان قد ركبا فيها، وتستعمل هنا للأجرة بديلة من (التاكسي).

مدينة أنكا مالي:

وفيها عدد من المسيحيين أكثر من الجهات الأخرى المجاورة لها، ولم نقف فيها، وإنما واصلنا السير مع طريق إزفلتية ضيقة.

تجاوزنا نهر (شالاكودي) وهو متوسط السعة، غزير المياه، يأتي من المنطقة الجبلية شرق كيرالا، ويذهب مغرباً حيث يجتمع بنهر آخر يصب في البحر.

وعنده مدينة سميت باسمه (شالا كودي)، اخترقنا شارعها العام، ورأينا فيها قطعاناً ضخمة من الثيران، وهي تساق قادمة من ولاية (تامل نادو) إلى هذه الولاية التي هي كما قلنا يباح فيها ذبح البقر وبيع لحمه علناً، كما مررنا بمصانع للآجر لسقوف البيوت ونحوها.

وأما السيارات التي تسير في الطريق الآن، فإن أكثرها شاحنات، أو حافلات ضخمة تنفث الدخان الذي يلوث الجو، وكلها صنعت في الهند.

وأما لباس الناس الذين نراهم في قرى هذا الطريق ومدنه، فإنها الفوط القصيرة، وبعضهم يرفعها بيده، وهو يسير لكيلا تعوقه في المشي، وفوق الفوطة صدري خفيف من القطن قصير الكمين.

أما النساء فإنهن يشبهن النساء في سيلان.

وأما اللافتات التي على المحلات المهمة والحيطان فإنها باللغة المحلية المسماة (مالايالم) التي تظرف بعض الإخوة الذين يحسنون العربية بقولهم: إنها كلمة (ما لا يعلم)، وذلك لصعوبة النطق بها، وسرعة الكلمات في أفواه أصحابها.

وقد قال لي أحد الإخوة: إنني إذا سمعت الناس هنا يتكلمون بلغة (مالا يالم) أشبه أصوات المتكلم بقرقعة حصى في علبة من الحديد تحرك بسرعة.

وذلك كله من سرعة التكلم بها، وتلاصق الكلمات في ذهن السامع لها.

مدينة كونم قلام:

مررنا بعدة قرى، وصلنا بعدها إلى مدينة (كونم قلام)، فيها سوق كبير مزدحم بالبائعين والمشترين، وعلى شارعها العام تقع الحوانيت مباشرة، والسيارات تمر بها، وتزعج من في السوق.

وأكثر اللافتات على حوانيت هذه المدينة هي بالإنكليزية.

وكنا مررنا قبلها بمعبد هندوكي قديم في محلة مزدحمة بالسكان مثل هذه.

هذه كوتي بروم:

في السابعة والنصف مساءً وصلنا بلدة (كوتي بروم) التي يقع فيها مؤتمر المنظمات السلفية الذي نقصده، فتركنا السيارة التي معنا، وحمل حاملون أمتعتي على رؤوسهم حيث دخلنا في السرادق الضخم الذي أقيم من أجل المؤتمر.

وقبله على الشارع العام وجدنا أسواقاً مؤقتة قد انتشر فيها الباعة، وهي مزدحمة بالبضائع الخفيفة، ومن أهمها ما نسميه البسطات، وهي البضائع التي يبسطها أهلها على الأرض، أو على عربات تدفع باليد، وتتضمن سلعاً خفيفة تمس الحاجة إليها، وتكون هنا رخيصة الأثمان، لأن بائعيها لا يدفعون أجوراً على محل بيعها، كما يفعل أهل الحوانيت المعتادة.

كان السرادق الواسع، بل الهائل الاتساع قد أقيم كله من الأخشاب والحصر المربوطة بالحبال، وذلك من أجل الاستماع للمهرجان الخطابي، وقسم منه أقيم من أجل النوم، فيكون من يحضر المؤتمر من أنحاء الهند، وحتى من الأماكن البعيدة عن مكان المؤتمر يقيم في هذا السرادق، ويأكل من وجبات الطعام التي يقدمها المطبخ المقام فيه بثمن زهيد للطعام، ومن دون أجر للإقامة، ولا يدفع غير ذلك أجراً لفندق أو نحوه.

وهذه عادة حميدة لأهل الهند في اجتماعاتهم الحاشدة ألا يتكلفوا عناء الإقامة في الفنادق وإنما يعيشون مدة الاجتماع في معسكرات وسرادقات، أو في أماكن متسعة كالأماكن الملحقة بالمساجد الواحد منهم بجانب الآخر، فينامون أو يستريحون وهم كذلك.

ويقضون الوقت بين الاستماع للمحاضرات، والاجتماع للتعارف مع بقية المؤتمرين الذين قد حضروا بالقطارات والحافلات من سائر أنحاء

الهند المتباعدة.

وقد أخبرنا الإخوة الذين استقبلونا عند مدخل السرادق من القائمين على المؤتمر أن هذا السرادق يتسع لثمانين ألف شخص.

وفيه قسم منفصل للنساء، فلا يجلسن مع الرجال، ولهن محاضرات ومحاضرون من مكبرات للصوت خاصة بهن، وقد يوصل المكان بشبكة السماعات المنطلقة من مكبرات الصوت على المنصة الرئيسية للمؤتمر.

وهذا عجب من العجب من أمر هؤلاء الإخوة من مسلمي الهند في استطاعتهم تنظيم هذه الاجتماعات الحاشدة، واستعدادهم لها بما يكفي الجموع الهائلة من البشر، وكل ذلك بجهودهم الخاصة، من دون أن تساعدهم الحكومة، أو حتى الهيئات الرسمية كالجامعات أو المؤسسات العامة بشيء، وإنما يتلقون المال اللازم لذلك من إخوتهم المسلمين في الهند، سواء من يكونون من أهل الثراء، فيتبرعون بمقادير مجزية من المال، ومن متوسطي الحال الذين ينفقون بقدر استطاعتهم.

الجلسة الافتتاحية:

اخترقنا السرادق الفخم، وكان مرافقونا يسيرون أمامنا يطلبون من الإخوة الجالسين أن يفسحوا الطريق، وكنت أرتدي الملابس العربية كاملة، فكان الذين نمر بهم يفرحون برؤية أخ لهم مسلم من الحرمين الشريفين، جاء يشاركهم اجتماعهم هذا الحاشد، حتى وصلنا المنصة الرئيسية للمؤتمر؛ حيث وجدتهم قد أعدوا مكاني فيها بين عدد من كبار الرسميين ورجال الدولة، وأغلبهم من المسلمين، وقد دعوا عدداً من كبار رجال الدولة من غير المسلمين الذين لبوا الدعوة مجاملة للمسلمين، ومن أجل الحصول على تأييد المسلمين لهم في الانتخابات وغيرها.

ومن الحاضرين نائب رئيس حكومة كيرالا التي يتألف سكانها الآن من أربعة وعشرين مليوناً من السكان، وهو وزير الأشغال العامة والحج والأوقاف في الولاية، اسمه عبد القادر ركوتي، وقد يقولون قادر كوتي من باب التخفيف بالنطق.

كما كان هناك من كبار المسلمين الأخ عبد الرحمن أودي نائب رئيس رابطة مسلمي الهند، وهذه رابطة سياسية معروفة.

بالإضافة إلى وجود عشرات من الصحفيين، وموظفي التلفزة الذين كانوا يسجلون وقائع المؤتمر لعدة محطات من محطات البث المتلفز، وعشرات أيضاً من الصحافيين من عموم أنحاء الهند.

وأما إخواننا السلفيون، فإن رؤساء الجمعيات وأعداداً كبيرة منهم قد حضروا المؤتمر، وكثير منهم نعرفهم بأعيانهم، لأنني سبق لي الاجتماع بهم من قبل، سواء في الهند، وفي المدينة المنورة، أو مكة المكرمة.

الافتتاح:

أعلنوا في المؤتمر أنني سأقوم بافتتاح الجلسة الافتتاحية، وتقدم الأخ محمد أحد الداعين للمؤتمر، وألقى كلمة بالعربية أعقبها بلغة (ما لا يالم) قدمني فيها للحاضرين، وأثنى عليَّ فيها جزاه الله خيراً، بل إنه رفع من قدري عند الآخرين بما لا أستحقه، وذكر تاريخ حياتي وما قمت به من أعمال، وما شغلته من وظائف، كلها كانت في حقل الدعوة إلى الله، والاتصال بالمسلمين في الخارج من وظيفة للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إلى (الأمين العام للدعوة الإسلامية). ثم هذه الوظيفة الحالية، وهي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.

فألقيت فيهم كلمة مبسوطة تضمنت فضل السلفية ودعوة التوحيد،

وبيان بطلان التعلق بالأموات والمقبورين من أدلة العقل والنقل.

ثم ذكرت لهم العلاقات الثقافية القديمة ما بين الهند والبلدان العربية، وبخاصة هذا الساحل الجنوبي

ونوّهت خاصة بعلاقات التعايش الجيدة على مدى القرون ما بين المسلمين والهندوك في جنوبي الهند، وبخاصة في هذه الولاية كيرالا التي كانت تسمى في مصنفات العرب المؤرخين والرحالة ببلاد الملابار، واستشهدت بكلام ابن بطوطة على متانة العلاقات هذه ما بين المسلمين وغيرهم من أرباب الديانات هنا. وأنها كان طابعها التسامح وحسن الجوار.

ثم أسديت للمسلمين النصيحة بأن يلتزموا بأوامر الله تعالى في العبادات والمعاملات، وبخاصة ما يتعلق بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء ما بينهم وبين بقية المواطنين، وأن المسلم يجب أن يكون عنواناً صادقاً على نقاء دينه الإسلامي، وعدله ووفائه، فلا يغش في بيع أو شراء، ولا يخلف في موعد، ولا يكذب في أية حالة من حالاته.

ثم ذكرت أنهم - وهم أقلية عددية في هذه البلاد الهندية - عليهم أن يتعاونوا مع إخوتهم في الوطن أهل الأكثرية العددية، ومع غيرهم من المواطنين على ما ينفع الوطن من عمارة البلاد، وصيانة المرافق العامة، والمحافظة عليها، مثل الطرق والمستشفيات، وأن يسهموا بما يستطيعونه من أجل خدمة المجتمع، ومنفعة أهله، حتى يُشعِروا غير المسلمين بأن الإسلام هو دين المحبة والخير للجميع، حتى لغير المسلمين.

وكان الصحفيون يكتبون ذلك كله ويسجلونه، وكان المصورون يتابعون التقاط الصور في إسراف لم أر له داعياً.

وبعد أن أنهيت كلمتي تقدم الأمين العام للجمعيات السلفية، فألقى

كلمة وجه فيها الشكر على هذا الكلام، ونهض بعده الأخ الشيخ عبد الوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث لعموم الهند، فترجم كلمتي إلى اللغة الأوردية قائلاً: إن هناك نحو خمسة عشر ألف أخ من الحاضرين جاؤوا من أنحاء الهند، ولا يعرفون اللغة العربية ولا لغة (ما لا يالم) التي هي لغة (كيرالا)، وهي التي ترجمت إليها كلمة فلان - يقصدني -، ولذلك سألقي كلمته بالأوردية، ثم تلا الكلمة مكتوبة بالأوردية، وكان يتابعني وأنا أتكلم، ويكتب ما أقوله.

ثم تكلم عدد من كبار المدعوين، ومنهم نائب رئيس الوزراء في حكومة ولاية كيرالا.

وقد أحببت أن أنقل كلمة الشيخ أحمد بن كونجي أحمد كوتي عضو الهيئة التنسيقية للمنظمات السلفية في كيرالا، لما اشتملت عليه من تعريف بتلك المنظمات، ومعلومات أخرى مهمة.

قال بعد الديباجة:

أيها العلماء الأعلام، والزعماء العظام، والسادة الكرام، أنتهز هذه الفرصة لأن أحيطكم علماً بأن خدمات رابطة العالم الإسلامي الجليلة، وأنشطتها القيمة في تبليغ رسالة الإسلام إلى كافة من في الأرض على اختلاف بلادهم ولغاتهم وألوانهم وأزيائهم، وفي جمع صفوف مسلمي الدنيا، وتوحيد كلمتهم، والربط بينهم برابطة الأخوة الإسلامية، وفي رفع مستواهم علمياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً، وفي الذود عن حوض الملة السمحاء، والسنة الغراء، وفي إصلاح ما أفسده الناس من سنة رسول الله ﷺ من بعده، نالت لدى منظمات كيرالا السلفية تقديراً عظيماً، كيف لا؟ أليست الرابطة منظمة إسلامية خيرية، ممتازة بالعالمية، قائمة بجميع خدماتها وأنشطتها على ضوء القرآن والسنة، متبعة طريقة الرعيل الأول

والسلف الصالح ابتغاء وجه الله الكريم، ومنظمات كيرالا السلفية أيضاً تستهدف ذلك.

أيها السادة، أرى من المناسب الآن أن ألقي عليكم بضع كلمات في التعريف بمنظمات كيرالا السلفية، وهي خمس منظمات:

- **أولاها: جمعية العلماء بيكرالا، هي أم المنظمات الإسلامية الموجودة الآن في كيرالا، شكلت قبل كل منظمة سواها.**
- **الثانية: ندوة المجاهدين بيكرالا .**
- **الثالثة: اتحاد الشبان المجاهدين بكيرالا.**
- **الرابعة: حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا.**
- **الخامسة: حركة البنات والسيدات المسلمات بكيرالا.**

وجدير بالذكر هنا أن الأولى والثانية منها منظمتان مسجلتان لدى رابطة الرقابة، هنا ينبغي أن آتي ببيان يسير عن حالة مسلمي كيرالا قبل أن تُشَكَّل هذه المنظمات فيها توطئة للتعريف بها.

إن مما أتفق عليه المؤرخون أنه كانت بين البلاد العربية وبين كيرالا علاقة تجارية وودّية قبل زمن نبوة محمد ﷺ بقرون.

ويسرني أن أنقل ههنا ما أخبرني به صديقي الحميم السيد عبد الله المليباري السعودي الجنسية، من أنه قرأ في منشورة أن بعض العرب لما زاروا بلاد مليبار، ورأوا جمال منظرها، وما فيها من الزروع والثمار، والأشياء الغالية من التوابل وغيرها، قالوا: إن هذه البلاد ملأى بخير من الله تعالى، فسموها خير الله، ثم تدرجت إليه التحريفات من ألسن الناطقين به، حتى صار (كيرالا)، وفي ذلك قلت:

سمّاك من سـمّاك خـير الله إذْ لا خير إلاّ وهـو فيـك تكمّـلا
لكن بتحريفات من نطقـوا بـه من بعدُ صار لدى التلفظ (كيولا)

وبعد بعثة النبي محمد ﷺ جاء العرب التجار إلى كيرالا حاملين معهم رسالة الدعوة لإسلامية أيضاً، فانتشر بواسطتهم فيها الإسلام انتشاراً عظيماً.

وكان الإسلام الذي علمه أولئك العرب خالصاً سالماً من شوائب الترك والبدع والخرافات، ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، وتسرّبت إليهم البدع والخرافات، سنّة أمثالهم من أهل البلاد الأخرى، ومع ذلك كان فيهم في كل زمن طائفة لم يزالوا ظاهرين على الحق، ممن كانوا يصلحون ما أفسده الناس من سنة رسول الله ﷺ، بالرغم من أن البدعيين كانوا يؤذونهم أشد الأذى، وينكلون بهم أشد التنكيل.

كان القرن التاسع [عشر] الميلادي وأوائل القرن العشرين أفسد عصر بالنسبة إلى مسلمي كيرالا، فكانوا إذْ ذاك في الحضيض الأسفل علمياً ودينياً وثقافياً، فكان علماؤهم يحرمون عليهم تعلّم العلوم العصرية، واللغة الإنجليزية، وعلى المرأة المسلمة تعلّم الكتابة في أية لغة حتى العربية، زاعمين أن ذلك يفضي إلى فساد عريض. فكان الجهل الفاحش منتشراً بينهم، واستولت عليهم البدع، والخرافات، والتقليد الأعمى في أصول الدين وفروعها، حتى إنه كان فيهم من يعتقد أن التمساح، وثمر الكاجو خلقه نبي الله موسى عليه السلام، لا خالق السموات والأرض، وكان النظر في القرآن والسنة لمعرفة الأحكام الشرعية محظوراً عندهم، بل كانوا لا يعدون القرآن ولا الحديث النبوي دليلاً لها، وإنما الدليل عندهم ما كتبه الفقهاء فقط، يدل على ذلك وقائع كثيرة لا أتصدى لذكرها مخافة طول المقالة.

أيها السادة الكرام، وبالرغم من هذا كله كان جمهور مسلمي كيرالا متحمسين للإسلام، وذوي غيرة عليه، ومحافظين على الصلوات الخمس وغيرها من العبادات، وإن كانت مشوبة بالبدع، ومع ذلك كان يحدث في أكثر البقاع بين مسلميها الشقاق بين فينة وأخرى، لأنهم لم يكونوا متمسكين بالقرآن الكريم والسنة على الطريقة السلفية.

وكان في بقعة (كرانكنور) بالقرب من كوشن - وهي أول بقعة دخل فيها الإسلام من بقاع كيرالا - بعض من تأثر بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وغيرهم من أئمة الدعوة السلفية، ففكروا في توحيد كلمة مسلميها، فرأوا أجدى وسيلة لذلك تشكيل جمعية خيرية، تقوم بإصلاح بينهم، وتوعيتهم على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، فشكلوا سنة (١٩٢١م) جمعية محلية سموها ((جمعية الإنصاف بين المسلمين))، فصارت أنشطتها أنفع وأجدى مما انتظروه، حتى صارت جاذبة لمن يريد إصلاح بين المسلمين من أهل البقاع الأخرى أيضاً، فشكلوا عام ١٩٢٢م جمعية لعموم كيرالا سموها ((جمعية اتحاد المسلمين بكيرالا))، واستهدفوا لها الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى التمسك بالقرآن والسنة، وتعليم المسلمين - ذكورهم وإناثهم - القراءة والكتابة، ورفع مستواهم علمياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً، وتوحيد كلمتهم، إلى غير ذلك من الأهداف السامية.

وبعد ذلك ألغيت ((جمعية الإنصاف بين المسلمين)) المحلية، شرعت هذه الجمعية تبذل جهودها في تنفيذ أهدافها السامية، فنالت نجاحاً عظيماً يكاد يكون عديم المثال، وبعد عامين من عهد تشكيلها أحسّ زعماؤها بضرورة تشكيل جمعية خاصة بعلماء كيرالا ليصيروا بذلك أمة

تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالإفتاء والدعوة والإرشاد، فشكلوا عام ١٩٢٢م ((جمعية العلماء بكيرالا))، وكانت أنشطة هذه الجمعية قيمة جليلة الفوائد، فيها شرعت العلوم الدينية العصرية تنتشر انتشاراً عظيماً بين المسلمين في طول بلاد كيرالا وعرضها، ولم يزل ما شيّده القبوريون والزنادقة من قصور الشرك والبدعة والزندقة تنهدم وتتهور.

ولم تزل جمعية العلماء وجمعية اتحاد المسلمين تتعاونان على القيام بأنشطتهما كأنهما جمعية واحدة، وكان زعماء كل واحدة من الجمعيتين زعماء الأخرى، فلم يروا حاجة إلى جمعيتين لأداء دعوتهم، فبعد سنين ألغيت جمعية اتحاد المسلمين أيضاً.

ولما نمت شجرة جمعية العلماء، وطالت وترعرعت، تأثر جمٌّ غفير من غير العلماء أيضاً من مسلمي كيرالا بالدعوة السلفية، فلم يكن هناك بدٌّ من تشكيل منظمة يمكن أن ينتمي إليها كل من تأثر بالدعوة السلفية عالماً كان أو غيره، فلذلك أسست عام ١٩٥٠ ندوة المجاهدين بكيرالا، وهي الآن أكبر المنظمات السلفية في كيرالا، وأكثرها أعضاء، ولها مئات من الفروع المحلية، وآلاف من الأعضاء في طول بلاد كيرالا وعرضها، أما المتأثرون بالدعوة السلفية في كيرالا فهم ملايين الناس.

رأى سلفيُّو كيرالا شبان مسلميها يميلون إلى المنظمات الشبابية التي شكلها الزنادقة أو أهل الزيغ، فرأوا من الضروري تشكيل جمعية شبابية إسلامية تضمهم تحت جناحيها، لتوعيتهم على ضوء القرآن والسنة، وتربيتهم على اغتنام شبابهم قبل هرمهم طوع أمر النبي ﷺ حتى يصيروا قدوة الشباب الصالحين بإيمانهم وتقواهم وحسن سيرتهم وسلوكهم، ودعاة لكل ذي زيغ وضلال - لا سيما الشباب - إلى سبيل الله على بصيرة

بالحكمة والموعظة الحسنة، وذائدين عن حوض الملة الحنيفية والسنة النبوية، مع لزوم الطريقة التي سلكها الرعيل الأول والسلف الصالح، فشكلت عام ١٩٦٧ م ((اتحاد الشبان المجاهدين)).

صارت هذه المنظمة - بفضل الله تعالى - أعظم نعمة على مسلمي كيرالا، خصوصاً على شبانهم، فإنها لا تزال تقوم بأنشطة قيمة تأتي بنتائج أنشأت في شبابها تغييراً مرغوباً فيه ينشرح به صدر كل إنسان يجري في عروقه الدم الإسلامي.

إن بيئة المعاهد التربوية العصرية في كيرالا - مدارس كانت أو كليات أو جامعات - لمّا يسوء ويحزن كل إنسان مثقف، فإنها الآن مراكز إضراب وثورة وفوضوية، لا نظام فيها ولا سلام، والعلاقة بين طلابها ومعلميها فاسدة كل الفساد، قد يحاصر طائفة من الطلاب مدير المعهد حول مكتبه عدة ساعات، ويحرمونه الطعام والشراب، ولا يأذنون له بالخروج حتى لقضاء الحاجة، وسبب ذلك كله أن كيرالا إحدى ولايات الهند التي هي دولة علمانية، وهذه الدولة قد حَرَّمت تعليم العلوم الدينية وتوعية الطلاب توعية روحية في معاهدها، فلا يتربى طلابها على الأخلاق الفاضلة. ويوجد فيها جمعيات طلابية تحت إشراف الأحزاب السياسية، ومن عادة أكثر تلك الأحزاب تحريض الجمعيات الطلابية التي تحت إشرافها على إثارة الفتنة والاضطرابات فيها.

وفي هذه المناسبة رأى سلفيو كيرالا من الضروري تشكيل جمعية لأولاد المسلمين الذين يتعلمون فيها، تقوم بتوعيتهم على ضوء القرآن الكريم والسنة، وتثقيفهم بالثقافة الروحية، وتربيتهم على حسن السيرة والسلوك، والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وتعلمهم النظام، وتدربهم على القيام به، وتحبب إليهم الإيمان والعمل الصالح، وترغبهم بدعوة زملائهم

إلى هذه الخلال الحميدة، فشكلت عام ١٩٧٢م حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا، وأنشطة هذه المنظمة أيضاً تأتي بنتائج مرغوب فيها مفيدة.

كان من أنشطة جمعية العلماء وندوة المجاهدين تأسيس المعاهد التربوية الإسلامية لتعليم الذكران والإناث العلوم الدينية، منها كلية أنوار الإسلام النسائية بقرية مونغم (MONGAM) تديرها جمعية العلماء مباشرة، فتخرجت بذلك في كيرالا عدد غير قليل من النسوان متضلعات من العلوم الإسلامية والفنون العربية، قائمات بالدعوة إلى سبيل الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبنشر تعاليم القرآن والسنة بين النساء، وتوعيتهن توعية إسلامية على الطريقة السلفية، فنشأت بسعيهن في نساء كيرالا نهضة مباركة، فتأثرن بالدعوة السلفية بعد ما كن أسيرات البدع والخرافات، فرأين تشكيل جمعية خاصة بهن، للقيام بتوسعة دائرة دعوة نساء كيرالا إلى القرآن الكريم والسنة، ولإنقاذهن من شرك البدع والخرافات، فشكلت عام ١٩٨٦ م حركة البنات والسيدات المسلمات بكيرالا

(MUSLIM GIRLS AND WOMENS MOVEMENT) – M. G. M -

هذه المنظمة أيضاً تقوم بأنشطة قيمة في مجال الدعوة والإرشاد والتوعية الإسلامية.

أيها السادة الكرام، هذه هي المنظمات السلفية الخمس في كيرالا، وهي تتعاون على تنفيذ أهدافها، والقيام بأنشطتها القيمة، منها:

- عقد الاحتفالات والمجتمعات والمعسكرات لنشر العلوم، ولتبليغ رسالة الإسلام، والتوعية الإسلامية.
- إدارة المدارس والكليات والجامعات الإسلامية، لنشر العلوم ولتخريج الدعاة المهرة.

- تصنيف الكتب الإسلامية ونشرها.
- إصدار الجرائد والمجلات، فندوة المجاهدين تصدر مجلة شهرية اسمها ((المنار))، واتحاد الشبان المجاهدين يصدر جريدة أسبوعية اسمها ((الشباب))، وحركة الطلبة المجاهدين تصدر مجلة شهرية للأطفال اسمها: ((بال كوتكم))، وحركة البنات والسيدات المسلمات تصدر مجلة شهرية تهتم برفع مستوى النساء في شتى المجالات اسمها: ((بوداوا)).

إلى غير ذلك من الأنشطة القيمة.

ولا أنكر أن في كيرالا فضلاً عن المنظمات السلفية، عدة منظمات إسلامية، منها سمستا كيرالا جمعية العلماء و((الجماعة الإسلامية)).

أيها السادة، أرجو أن أحيطكم علما بأن كيرالا إحدى ولايات الهند التي هي دولة علمانية، والمسلمون فيها أقلية، فأمامهم في سبيل القيام بالدعوة إلى الله عقبات شديدة يعسر اقتحامها.

ومع ذلك مما لا يمتري فيه اثنان أن كيرالا لها المكانة الأولى في التحمس لدين الإسلام، وفي القيام بالدعوة إلى الله، وبخدمة الإسلام واللغة العربية، من بين ولايات الهند، والفضل في ذلك يعود إلى المنظمات السلفية فيها، وهذه حقيقة مسلمة لدى من زار كيرالا من زعماء الرابطة كمعالي الدكتور عبد الله عمر نصيف أمينها العام، والشيخ محمد بن ناصر العبودي أمينها العام المساعد، والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، وغيرهم، فأرى أن من المستحسن أن تكون بين رابطة العالم الإسلامي وبين المنظمات السلفية في كيرالا علاقة وثيقة، حتى لا تزال هذه المنظمات تظفر بإرشادات قيمة من الرابطة، وأرى أحسن وسيلة لذلك أن يكون في أعضاء الرابطة ممثل لهذه المنظمات، ومعلوم أنه ليس في أعضاء الرابطة

أحد من أهل كيرالا، مع أنها أوثق علاقة ببلاد العرب من سائر بلاد العجم.

فأطلب من زعماء رابطة العالم الإسلامي بكل تواضع واحترام على اسم الأخوّة في الله وفي الإسلام، وفي الحركة السلفية، تعيين أحد يمثل المنظمات السلفية في كيرالا عضواً فيها، جزاهم الله عن مسلمي كيرالا خير الجزاء. وبهذا أختتم. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على خير خلقه؛ سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد الله رب العالمين

هذا وقد أعطاني الشيخ أحمد بن كونجي هذه القصيدة التي أنشأها في الترحيب بالحاضرين إلى هذا المؤتمر، ونوه بحضور رابطة العالم الإسلامي، ولا أدري أألقاها في المؤتمر أم لا، قال:

ترحيب المنظمات السلفية بكيرالا

جمعية العلماء بكيرالا وندوة المجاهدين بكيرالا

واتحاد الشبان المجاهدين بكيرالا، وحركة الطلبة المجاهدين بكيرالا

بالضيوف الكرام الذين شاركوا في المؤتمر الثالث لهذه المنظمات المنعقد في ١، ٢، ٣، ٤ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ في قرية كوتي بورام

يوم سعيد بالمسرّة أجدرُ ... هذا فنحمد ربَّنا ونُكْبِرُ

عيد لكلّ مجاهد في كيرلا ... ففؤاده من أجل ذلك يَبْشُرُ

ومنظّماتٌ أربعٌ سلفيّةٌ ... تُثْنِي على الله العظيم وتشكرُ

طوبى لنا بمنظمّاتٍ أربعٍ ... سلفيّة فيها فوائد أكثر

تمحو ظلام جَهالةٍ وضلالة ... عن كيرلا، ولها أسَامٍ تُذْكَرُ

جمعيّة العلماء ناشرة السّنا ... فكأنها القمر المنير الأزهرُ

وبندوة لمجاهدين بكيرلا ... كلُّ امرئٍ هو من بنيها يَفْخَرُ

إنّ اتّحاد مجـــاهدي شـــبّانها ... في نفعه شجر عظيـــم مُثْمِـــرُ
وبهيئَـــةٍ لمجـــاهدي طُلاّبـــه ... تُرْجَى فوائد لا تُعَـــدُّ وتُحْصَـــرُ
عجباً لمؤتمـــر لـــها فكأنّمـــا ... هو للإضاءة مَشْـــعَلٌ مُتَنَـــوِّرُ
أصحابُهُ عقدوه كيما يَنْشُـــرُوا ... نور الهداية حبَّذا مـــا يُنْشَـــرُ
كم من حَمَامٍ في الحدائق حـائمٍ ... متفـــرِّد فرحـــاً بـــه يَتَبَخْـــتَرُ
إنّ الغصون تميل راقصةً لـــه ... طرباً وملبسها الحرير الأخضرُ
تبدو أزاهير الريـــاض كأنّـــها ... ثغر امرئٍ عند التبسم يظـــهرُ
كم عالم شَهْم يشارك فيه مِـــنْ ... أهل البلاد الشّاسعات ويحضـــرُ
ما كان أكرمهم ضيوفاً كلّـــهم ... -لا شكّ - لله العظيم غَضَنْفَـــرُ
داعٍ إلـــى الله الأنـــام وآمـــرٌ ... بالعُرْف ناهي الناسَ عما يُنْكَـــرُ
لاسيما الشيخ (العُبوديّ) الـــذي ... هو للأولى يَسْرُون بدر أنـــورُ
بخل الزمان بمثله مـــن عـــالم ... هوعند مَنْ تحت السماء مُوَقَّـــرُ
وهوالخطيب المصقع اللسن الذي ... في نُصحه هـــو منـــذر ومبَشِّـــرُ
قدجاءنا من مـــهبط الوحـــي ... بضيائه الدنيا تُنِـــيرُ وتُزْهِـــرُ
مندوب رابطة بمكـــة جاءنـــا ... فمجيئه فضـــل علينـــا أكـــبرُ
مندوبَ رابطةٍ مباركـــةٍ لمـــن ... هم مسلمو الدنيا، به نستبشِـــرُ
نزلاؤنا ما كان أرفـــع شـــأنهم ... إذْ صيتهم في كل قُطْرٍ أشْـــهَرُ
فَمَعينُ شُكْرِ منظمّـــاتٍ أربـــع ... ســـلفيّة لضيوفـــها يتفجّـــرُ
إنَا نرحب بالضيوف جميعـــهم ... وعلىالضيوف سلامنا المتعطرُ

عشاء المؤتمر:

في التاسعة والنصف أخذوني وبعض المدعوين، ومنهم الذين جاؤوا

معي إلى ركن آخر من السرادق، وهو كباقيه مقام من الحصر والأخشاب المنصوبة المربوطة بالحبال، حيث قدموا لنا عشاءً جيداً قليل الفلفل والدسم، لكونهم يعرفون أننا نحن العرب لا نحب ذلك.

وقد أكثروا على العشاء من الفاكهة، وهذا ليس شائعاً في الهند، وإنما هم يقدمون الحلوى بعد الطعام في العادة، أما الفاكهة فإنها ليست جزءاً من الطعام كما هو المعتاد في البلدان العربية والأوروبية، وكنا نتعشى والمؤتمرون لا يزالون يستمعون إلى المحاضرات، ولكنها بلغات غير العربية.

مشكلة المأوى:

ظل الإخوة يتراجعون فيما بينهم حول المكان الذي أنام فيه، فالبلدة التي فيها المؤتمر ليس فيها فندق مناسب، والنوم مع هؤلاء الإخوة النائمين في سرادق يضم الآلاف لا يريدونه لي، وقالوا لي: إن هناك بلدة بعيدة نوعاً ما فيها فندق أسكنا فيه بعض المدعوين من بلدان الخليج العربي، ألا أنه ليس فيه مكيف وإنما هي المراوح، ولكننا نخشى أن نشق عليك بنقلك إليه.

فقلت لهم: إن الموضوع ليس مهماً عندي، فالمهم أن أجد غرفة أنام فيها وحدي إن تيسرت كما اعتدت ذلك، وإلا ففي أي مكان.

ثم قالوا خيراً: إن أحد الإخوة لديه فندق، ولديه غرفة مكيفة، وسوف يأخذك إلى هناك بنفسه، لأنه هو ذاهب إليه، فشكرتهم على عنايتهم. ثم حملوا أمتعتي على رأس أحد الحمالين، واخترقنا السرادق الطويل إلى شارع، حيث وجدنا الأخ في انتظارنا على سيارة له جديدة من طراز مرسيدس يقل نظيرها في هذه المنطقة، وسبب حصوله عليها أنه

قضى إحدى وعشرين سنة من عمره وهو يعمل في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، فاكتسب مالاً واشترى هذه السيارة وأحضرها إلى بلده، وبنى له بيتاً جديداً، وابتدأ العمل في هذا البلد، واسمه (عبد الرحيم بن محمد كويا).

سار الأخ عبد الرحيم يقود سيارته الفاخرة بنفسه، والساعة تقارب الحادية عشرة ليلاً إلى بيته الذي يبعد عن مقر المؤتمر بتسعة وثلاثين كيلو متراً.

ولم أشعر بالمسافة رغم الظلام وأن الوقت كان متأخراً، وذلك لكون الأخ عبد الرحيم يعرف العربية، فكان يحدثني عن أحوال المسلمين في هذه الولاية، وعن أحوال الناس عامة، وكان معنا شخصان آخران جاءا مثله لحضور المؤتمر من القرية التي يقصدها، واسمها (سلفي نقر)، أي بلدة السلفيين.

وهذا اسم أطلقه السلفيون على جزء من هذه المنطقة، أسسوا فيه لهم منازل، وليس بالاسم القديم للبلدة القديمة التي تقع قريبة من ذلك المكان، فالبلدة القديمة، أو لنقل المحلة القديمة القريبة منهم تسمى (تما)، وتسمى المنطقة (مالابورم)، يعني فوق الجبل، لأن (مالا) بلغتهم تعني الجبل، وبوروم معناها فوق.

وصلنا بيته نحو الثانية عشرة ليلاً، وهو بيت كبير، حديث البناء، بناه بالإسمنت المسلح، وبالغ في قوته وأناقته بالنسبة إلى ما حوله من بيوت البلدة.

وقد أراني معظم بيته وقال: أثاثه هذا كما تراه أحضرت أكثره من السعودية، لأنه كان في بيتي هناك، وحتى بعضه اشتريته جديداً ونقلته بطريق البحر إلى مليبار، من أجل أن يذكرني بالأثاث الموجود في البيوت

في المملكة العربية السعودية.

أما الماء وقد رأيت الحديقة صغيرة خلفية في بيته ذكر أنهم يحصلون عليه من بئر في فناء البيت أراني إياه، يرفعونه من البئر بمحرك كهربائي.

وليس في بيته من عيب في عيني ألاّ ضيق الشارع الذي هو عليه، مع أن البيت واسع، ولكن تبين لي أن هذه هي سمة الشوارع في هذه المحلة كلها.

وقد أفرد لي غرفة في بيته، فيها سرير وخزانة للملابس ومكيف للهواء ومروحة، ولكن الكهرباء ضعيفة بحيث لم تكن تقوى على إدارة المكيف فكان يطفئ فأغلقه حتى لا يصاب بالتلف، وحتى المروحة كانت تقف فترة وتدور أخرى، لأن الكهرباء كانت تنقطع عن المكان.

وسألته عن الفندق الذي ذكره الإخوة لي عنده ؟ فقال: إنه في مكان آخر من البلدة، ولكن هذا أنظف لك وأكثر راحة من الفندق، وقد تبين لي بعد ذلك صحة قوله، وإن كنت غير مرتاح إلى النوم في بيته، لما يسببه ذلك لهم من إزعاج، وما أشعرِ به أنا من إحراج، ولم أتعود على المبيت عند أحد من أصدقائي في الخارج إلا عند الضرورة القصوى.

يوم الجمعة ١٢/٥/١٤٠٧هـ ٢/٢/١٩٨٧م

الأذان في الغابات:

هذه المنطقة كانت في الأصل منطقة غابات من شجر النارجيل وغيره من الأشجار العالية، فقطعوا منها ما أقاموا مكانه بيوتاً ومنازل، وأبقوا منها ما استغنوا عن مكانه، أو احتاجوا إلى بقائه، فكانت القطع من الغابات بين المنازل لا تزال كثيفة الأشجار، عالية في السماء، ولا تزال الغابات أكثر ظهوراً فيها من البيوت التي تكون في أرض الهند في العادة متلاصقة، غير واسعة الشوارع.

وسمعت أذان الفجر من مكبر للصوت تردد صداه فروع الأشجار، ويتجاوب معه دعاء الإخوة من أهل مليبار في الأسحار.

فأسرعت الوضوء، وكان مضيفي الأخ عبد الرحيم كويا يطرق الغرفة ليوقظني لصلاة الفجر، فخرجت معه إلى المسجد الذي يقع غير بعيد من بيته، إلا أن النور في الأزقة الضيقة الموصلة إلى المسجد غير كافٍ لضعف الكهرباء، وإلا فإن البيوت عليها غير عالية.

وطلبوا مني أن أصلي بهم صلاة الفجر، فاجتمع أكثر من الصف الواحد من الشيوخ والشبان، وكان من أمرهم عجب، حيث لا أمر هنا ولا نهي، إلا أمر النفس المطمئنة، والانقياد لأوامر الله بدافع الخوف منه والرجاء فيه، لا بدافع من الخوف من الناس، أو الرجاء أو المنفعة منهم.

وكان الأعجب من ذلك هذا المسجد الذي أصلي فيه، فهو مقام من الإسمنت المسلح الغالي، ومرفوع السقف إلى درجة تعادل رفع المساجد المبالغ في بنائها في البلدان العربية، وكان بناؤه عام ١٩٧٨م، وقد أنفقوا

على أبوابه ونوافذه نفقات كبيرة، وقد بناه كله رجل محسن من أهل هذه البلاد، ويقيم في المملكة العربية السعودية، اسمه محمد محيي الدين المليباري، ويقيم في مدينة جدة، قالوا: ربما يكون هذا الأخ قد جمع من أهل الخير في جدة ما ساعده على بنائه، ولكنهم لا يعرفون بانياً لهذا المسجد غيره.

وأخبروني أن هذه عادة حميدة من عادات المهاجرين منهم في المملكة وفي الخليج، أنهم إذا وجدوا المال فإنهم يبحثون عن مشروع من مشروعات الخير يقيمونه، أو يسهمون في إقامته في بلادهم.

إلى بلدة ترو رنقادي:

أفطرنا بعد نومة صبحة خفيفة في بيت الأخ عبد الرحيم كويا إفطاراً عربي الملامح، إلا أنه هندي أصيل في فلفله وخبزه، إلى جانب الشاي الهندي المخلوط بالحليب ليذهب ثقله، وقد أحضروا لي شاياً خفيفاً ساذجاً يسمونه (سليماني)، ويشرب دون أن يخلط بالحليب.

وفي الساعة التاسعة كنا نذهب لزيارة دار الأيتام في بلدة ترورنقادي غير البعيدة، وذلك على سيارة الأخ عبد الرحيم كويا، وهو نفسه مهندس للمحركات خبير بإصلاح السيارات.

وكان أهم ما أحب أهل هذه المنطقة أن يرونا إياه في هذه البلدة مستشفى واسعاً عظيم المساحة، جيد البناء، وصلوا في بنائه حتى الآن إلى ما يقرب من السقف، ولكنهم يخشون ألا يستطيعوا إكماله لضخامته وكثرة ما يحتاج إليه من النفقة، ويطلبون مني أن نراه حتى نعمل على المساعدة على إتمام بنائه عند العودة إلى بلادنا.

وقد أقاموا المستشفى على أرض واسعة كانت غابة ملتفة من غابات

النارجيل والأشجار الأخرى، فقطعوا بعض الأشجار التي يحتاجون أرضها للمستشفى، وأبقوا على بقيتها.

والهدف العظيم النبيل من إنشائه ينبغي أن يسعى إليه القائمون على دور الأيتام والمشروعات الخيرية الإنسانية في البلدان التي يقطنها مسلمون، ذلك بأن هذا المستشفى هو مستشفى خيري مثل المدرسة التي يسمونها دار الأيتام، أو كلية محمد الكاتب العربية للأيتام.

وقد بنوه من أجل أن تتدرب فيه من بنات المسلمين اللائي يدرسن في هذه الدار، ويتعلمن في المدرسة فيها.

ولم أفاجأ حينما أخبروني أن تكلفة إنشاء المستشفى قد قدروها بثلاثين مليون روبية هندية، أي ما يعادل مليونين ومائة ألف دولار أمريكي، فالمشروع كبير وواسع، وإنما فوجئت بسعة الأرض التي كانوا قد اشتروها قبل سنين، وخصصوها لدار الأيتام هذه، وللمدارس والمهاجع الملحقة بها، ومن ذلك هذا المستشفى الذي تتسع الأرض حوله إلى أية توسعة يحتاجونها في المستقبل القريب.

دار الأيتام:

وبعد أن رأيت من أمر هذا المشروع الضخم ما لا أصدقه لو حدثت عنه دون أن أراه، دعوت للإخوة القائمين عليه بالثواب الجزيل، وشجعتهم على المضي في هذا المشروع الذي سيكون علامة على جدهم واجتهادهم، وفيه النفع العظيم لأولاد المسلمين من الأيتام واليتيمات، تركنا أرض المستشفى عائدين إلى الشارع، حيث دخلنا إلى دار الأيتام من بابها الرئيسي على الشارع، فوجدناهم قد صفوا الطلاب والطالبات صفين على يمين الداخل ويساره، وقد ألبسوا الجميع الملابس النظيفة الجميلة، وبخاصة في

هذه الولاية التي لا يتأنق الناس فيها بلباسهم، ما عدا أرباب المقامات بسبب الحر والرطوبة، والرغبة في التخفيف من الثياب، إضافة إلى داعي الحاجة والعوز عند بعض السكان.

سرنا مع مستقبلينا من المسؤولين عن المدرسة والمرافقين إلى مبنى المدرسة، حيث وجدنا المدرسين والموظفين كانوا واقفين في صفين طويلين، خلفهما صفان من الطالبات في الاستقبال، فألقيت فيهم كلمة قصيرة مناسبة.

وقد حدثونا عن أمور المدرسة هذه، ومنها أن عدد الأيتام الفتيان فيها كان يبلغ ما ينوف على ألف، وأنهم كانوا في بعض الأحيان لا يجدون مكاناً لمن يأتيهم، غير أن الأمر أختلف الآن، وهبط عددهم إلى ٦٥٦ يتيماً ويتيمة، يعيشون معيشة كاملة، حيث يسكنون ويأكلون ويدرسون.

وذكروا أن ذلك كله على نفقة أهل الخير من المحسنين المسلمين من هذه البلاد، حتى إنهم فاض عندهم من المال ما بدؤوا به عمارة هذا المستشفى الكبير عمارة حديثة.

وتتألف الدار من مدرسة ثانوية عصرية تعترف الحكومة بشهادتها، وتدخل حامليها في مرحلة التعليم الجامعي، ومن مدرسة دينية يسمونها (كلية عربية دينية)، وهذه متخصصة بالعلوم العربية والدينية، ولا تعترف الحكومة بشهاداتها، وإنما يعمل المتخرجون فيها في المجالات الدينية كالمدارس والكتاتيب أو إمامة المساجد، ويواصلون دراساتهم الجامعية في بعض الكليات الشرعية في البلدان العربية.

وعندهم معهد لتدريب المعلمين تعترف الحكومة به، وتدفع لهم رواتب المدرسين فيه جميعهم، إلا مدرسي الدين الإسلامي واللغة العربية فيدفعونها من عندهم.

وذكروا لنا أنهم مجبرون لهذا السبب على قبول طلاب من غير المسلمين في هذا المعهد، وقد قسموا الدراسة فيه إلى قسمين، أحدهما وهي البرنامج الإسلامي، تبدأ الدراسة فيه من السابعة صباحاً حتى التاسعة والنصف، أي لمدة ساعتين ونصف، والثاني البرنامج العام، ويبدأ من العاشرة ضحى حتى الرابعة عصراً.

وطلاب هذا المعهد ليسوا داخلين في عداد الأيتام، وإنما هو عمل يستفيد منه أبناء المسلمين عامة في المنطقة من أيتام وغيرهم.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة فصول الدراسة، فوجدتها جيدة، فيها المقاعد المعتادة نظيفة معتنى بها.

وبعدها أرونا مهاجع الأيتام، وهي نظيفة أيضاً إلا أنها ليست مؤثثة الأثاث اللازم، فبعضها خال من سرير النوم، وإنما ينام الأيتام فيها على فرش مبسوطة على أرض الغرف التي هي مبلطة بالإسمنت

وفي غرفة الطعام في الدار جاؤوا بالضيافة ثماراً خضراً من ثمار النارجيل، يفلقونها بسكين كبيرة حادة، ويسقون الضيف ماءها ويشربون معه، ثم أطعمونا شحمها بعد ذلك.

مسجد الدار:

وتحدثت معهم عن إعجابي بهذا المشروع الجليل، وقلت لهم: إنني سوف أنقل - إن شاء الله - ما شاهدته إلى إخوانكم في المملكة العربية السعودية وفي غيرها من البلدان الإسلامية، وسوف أسجل ذلك عندما أكتب ما شاهدته في هذه المنطقة الجنوبية من بلاد الهند، وما عند الله لكم خير وأبقى.

وكان المسجد أيضاً ذا مظهر مهيب بمنارته الشاهقة، وبنائه الفخم، وقد التقطت صوراً لذلك كله، كما طلبوا صوراً تذكارية معهم.

وفي الختام أعطوني التقويم الذي يتحدث عن هذه الدار الخيرية العظيمة في حاضرها وفي ماضيها، أحببت أن أنقل ما جاء في مقدمته ليعرف الإخوة المسلمون في بلادنا وغيرهم مبلغ اجتهاد هؤلاء الإخوة في هذا المكان المجهول لأكثرهم. قال التقويم:

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤسسات الخيرية التي تقوم بشؤونها لجنة دار الأيتام المسلمين

بترورنغادى- كيراله، الهند

١-دار الأيتام
افتتحت سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م)
سكانها الآن: ٧٧٢ نسمة
الذكور: ٣٧١، الإناث: ٤٠١
أسرتها ٢٥ مستخدماً

٢- مدرسة نور الإسلام الابتدائية (التربية الدينية)
افتتحت سنة ١٣٥٧هـ
أسرتها: ٢٥ أستاذاً
طلابها: ٨٦٨

٣ - كلية محمد الكاتب العربية (للتثقيف الدينى)
افتتحت سنة ١٣٧٠ (١٩٦٠م).
أسرتها: ٤ أساتذة
طلبتها: ٦١.

٤- المدرسة الابتدائية (لتعليم العلوم العصرية)
افتتحت سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)
أسرتها ١١ أستاذاً
طلبتها: ٣٥٤

٥-المدرسة الثانوية (لتعليم العلوم العصرية واللغة العربية)
افتتحت سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)
أسرتها: ٥٣أستاذاً ومستخدماً
طلبتها: ١٤٥٩

٦- مدرسة المعلمين (لتدريب المعلمين)
افتتحت سنة ١٣١٨هـ (١٩٣١م)
أسرتها ٧، أستاذاً ومستخدماً
طلبتها: ٨٠

٧- الكلية البكالورية (لتعليم العلوم العصرية)
افتتحت سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)

٨- المسجد الجامع.

أسرتها: ١٤٣، أستاذاً ومستخدماً
طلبتها: ٢١٨٧

أما بعد فإن لجنة دار الأيتام المسلمين بترورنقادى أسست عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) للقيام بكفالة الأيتام، والعمل في سبيل الرقي بالمسلمين دينياً وأدبياً واجتماعياً وسياسياً، وقد بذلت ولا تزال تبذل في هذا السبيل جهوداً جبارة، وكانت لا تزال لها نتائج طيبة حتى نطقت ألسن الجميع بالشكر لله، والثناء الحسن على القائمين بها، المخلصين خدماتهم لله.

هذه اللجنة أنشأت مؤسسات شتى للحصول على مأمولها، فمنها وأهمها هذه الدار التي تعدّ من كبريات الدور المبنية لكفالة الأيتام المسلمين في بلاد الهند.

وها نحن نقدم لإخواننا المسلمين موجزاً لتاريخها مع الإلمام بالمشروعات التي تريد تنفيذها في المستقبل.

فيا عجباً! إن المصائب والبلايا ربما تأتي بالخيرات العظام، ففي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) نزل في ربوع مليبار وباء جارف - هيضة مهلكة - تزلزلت بوطأته البيوت، وأهلكت آلافاً كثيرة من الناس، وأورثت كثيراً من الأرامل والأيتام، يقضون أوقاتهم في البكاء والعويل، يقاسون المصائب والشدائد، لا سامع لبكائهم ولا مسمع، ولا كافل لهم ولا ناصر، ولا يرون من يعزيهم ويسليهم، ولا ملجأ لهم إلا الشوارع، ولا مرتع لهم إلا المزابل، لو تركوا على هذه الحالة لكانوا كلاً على الشعب والأمة، وشامة سوداء في جبين الملة، وعقبة كؤوداً في سبيل رقي الأمة، ووبالاً على الدين والدنيا، ولكان المسلمون آثمين، مسؤولين عند الله العزيز الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقد تقدم بعض اللجنات للهندوكيين والمسيحيين، لتتولّى كفالة

هؤلاء الأيتام الذين معظمهم كانوا أولاد المسلمين، وتثقيفهم على نهجهم، وكان الأيتام يلوذون بهم من بين مسلم وغير مسلم، فخشي من رجالات الإسلام من لهم غيرة على دينهم وأمتهم، أن يتولى تربية يتامى المسلمين أمثال تلك اللجان، فيهنّدونهم، أو ينصرونهم، أو يمجسونهم، فأهابوا المسلمين، وأنذروهم عاقبة الأمر.

وعلى رأس هذه الرجالات المرحوم فضيلة الشيخ محمد الكاتب، المشهور ب. ك. م. مولوي، والمرحوم فضيلة المحامي الشهور ك. م. شيث صاحب. تشاوروا مع إخوانهما الغيورين، وكبار الملة، وعزموا على تأسيس هذه الدار ملجأ لأولئك الأيتام، ومأوى لهم، ثقة بالله، واعتماداً عليه، ولم يكن في أيديهم ما يكفيهم للقيام بهذه المهمة إلا التوكل على الله الرحيم الغني الوهاب، ولم يقدموا على هذا العمل الجليل إلا ابتغاء مرضاة الله.

فشكلت لجنة دار الأيتام المسلمين بترورنقادي لتربية اليتامى، وتثقيفهم، وتهذيبهم حتى يصيروا من خيرة أبناء الأمة، فتفخر بهم، وتحت إشراف هذه اللجنة افتتحت هذا الدار في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٣م.

وكان عدد اليتامى اللاجئين إلى الدار يوم افتتاحها ١١٤ يتيماً ذكوراً وإناثاً، فأخذوا يتربون فيها تربية إسلامية على الطريقة الحنيفية البيضاء، كما نهجها الكتاب والسنة، ومازال عددهم يزداد شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى ألف ومائتين، فالآن يتربى في هذه الدار اثنان وسبعون وسبع مائة يتيم ويتيمة، مع أن دور الأيتام قد كثرت، وانتشرت في كل ناحية من أنحاء ملييار. وقد اكتسبت هذه الدار بفضل الله رقياً عظيماً، حتى صارت فريدة في نوعها في كل الهند. ولا ننسى أن هذه الدار ما نالت هذه الرتبة العليا إلا بفضل الله تعالى، ثم بتبرعات أهل الخير من إخواننا المسلمين، وبمساعدة من حكومة كيرالا، وحكومة الهند المركزية، وإن

اللجنة تتكفل بحاجاتهم من الطعام واللباس والسكنى والتعليم والعلاج وغيرها من لوازم المعيشة.

عرفت اللجنة أن هؤلاء الأيتام لا سبيل إلى تربيتهم وتثقيفهم وتهذيبهم إلا تعليمهم العلوم الدينية والدنيوية معاً، فمن ثم أسست المعاهد العلمية الآتي ذكرها:

١- المعهد الديني الابتدائي (مدرسة نور الإسلام)، أسست هذه المدرسة قبل دار الأيتام بخمس سنوات، وبدأت دار الأيتام في أول أمرها في بناء المدرسة، ثم اشترت اللجنة بجميع نفقاتها، وفيها يتربى الأيتام وغيرهم تربية دينية ابتدائية، وأساتذتها خمسة وعشرون، وطلابها ثمانية وستون وثمانمائة طالب وطالبة.

٢- المعهد الديني العالي (كلية محمد الكاتب العربية)، يتلقى الأيتام فيها مع غيرهم العلوم الدينية بالمستوى العالي، فيقرؤون كتب التفسير والحديث والفقه وأصوله والتاريخ الإسلامي والأدب العربي، وهؤلاء الطلبة يتلقون العلوم العصرية من الكلية البكالورية، فمع إتمام درسهم في الكليتين يفوزون بشهادتين في آن واحد: شهادة اللغة العربية والعلوم الشرعية (أفضل العلماء)، وشهادة العلوم العصرية (الماجيستير)، وهذه الميزة مخصوصة بالأيتام دون غيرهم، يدرس فيها واحد وستون طالباً وطالبة، ويقوم بتدريسهم أربعة أساتذة.

٣- المدرسة الابتدائية العصرية (Orphanage Lower Primary School) افتتحت عام ١٩٦٠م، يتلقى فيها الأيتام الصغار العلوم الابتدائية العصرية من اللغة المحلية والحساب والجغرافية وتاريخ الهند والعلوم الطبيعية، يتعلم فيها أربعة وخمسون وثلاث مائة طالب وطالبة.

٤- المدرسة الثانوية الشرقية العربية للأيتام (Arabic Oriental School)

وغيرهم من الأولاد، ما بين عشر وستة عشر من عمرهم، يدرسون فيها اللغة العربية والإنجليزية والهندية مع العلوم العصرية والفنون الحديثة، ومع القرآن والحديث، ويحصلون على الشهادة الثانويةS S L C ، وهذه المدرسة افتتحت سنة ١٩٥٥م. عدد مدرسيها ومستخدميها ثلاثة وخمسون، وطلابها تسعة وخمسون وأربع مائة وألف.

٥- مدرسة المعلمين (Seethi Sahib Memorial Orphanage Traning School)، وهي افتتحت عام ١٩٦١م لتدريب الأيتام مع غيرهم على تدريس العلوم العصرية واللغة المحلية والإنجليزية، ويتخرجون فيها حاملين شهادة المعلمين T TC المسلمة عند الحكومة. وأسرتها سبعة، وطلابها ثمانون.

٦- الكلية البكالورية (Pockar Sahib Memorial Orphanage College)، افتتحت هذه الكلية عام ١٩٦٨ م، يتلقى الأيتام مع غيرهم فيها العلوم العصرية مع اللغات العربية والإنجليزية والهندية واللغة المحلية (مليالم)، ويتخرجون فيها مع الشهادات البكالورية العليا حتى الماجستير والدكتوراه. عدد أسرتها ثلاثة وأربعون ومائة، وطلابها ثمانية وثمانون ومائة وألفا طالب وطالبة.

فاليتيم الأمي يدخل هذه الدار، ويبدأ يدرس من الحروف الهجائية في اللغات الأربع (العربية والإنجليزية والهندية والمحلية)، ويقضي عشر سنوات إلى أن يتخرج حاملاً الشهادة الثانوية، ثم له أن يختار ما تيسر له من طرق ثلاث:

الأولى: وظيفة معلم اللغة العربية في مدارس الحكومة الابتدائية.

الثانية: الالتحاق بمدرسة المعلمين، فيقضي فيها سنتين لينال إجازة التدريس.

الثالثة: الالتحاق بالكلية البكالورية، فيستمر على الدراسة العالية فيما طاب له من العلوم والفنون، مع الالتحاق بالكلية العربية، فيظفر بالشهادتين.

واللجنة تنفق على جميع هذه المؤسسات في كل سنة مليوناً ومائتي ألف روبية هندية. وتقوم اللجنة بكل هذا اعتماداً على تبرعات أهل الخير من الإخوان الأسخياء المسلمين وغيرهم، في الهند وخارجها، المنفقين في سبيل الله، الراجين الجزاء من الله.

المشروعات الجديدة:

ثم إن اللجنة أمامها مشروعات جديدة، تريد تنفيذها في أقرب وقت ممكن، أولها وأهمها وأكبرها إنشاء وتأسيسُ مستشفى مزودة بأحدث الآلات والأجهزة، ينتفع بها اليتامى وغيرهم من عامة المسلمين وخاصتهم.

مستشفى الحاج م. ك. أحمد

من المؤسف جداً أن الأمة المسلمة في الهند لا يعتنون بالأمور الصحية كما هو حقها، فليس عندهم مستشفى من النوع المذكور، فاعتباراً بهذه الحالة المخزية، عزمت اللجنة على تأسيس المستشفى مزودة بجميع الآلات الجديدة، والأجهزة الحديثة، والميسرات العلاجية المبتكرة، موفرة بجميع الأقسام العلاجية مثل:

قسم الأدوية، وقسم التوليد، والأمراض النسائية وجراحتها، وأمراض الأطفال والرضع وحديثي الولادة، وأمراض العظام والمفاصل وجراحتها، وأمراض العيون وجراحتها، وأمراض الأذن والأنف والحنجرة، والأمراض الداخلية وجهاز الهضم، والأمراض القلبية وجراحتها، والأمراض

النفسية وتخطيط الدماغ، والأمراض البولية وجراحتها، والأمراض الداخلية والغدد الصم، والأمراض الجلدية والزهرية والتناسلية، وأمراض الأسنان وجراحة الفم والفكين، والأمراض الجنسية، وقسم جراحة الصدر والأوعية الدموية، والجراحة العامة، والجراحة التجميلية إلى غيرها من الأقسام الطبية والعلاجية المكثفة المحدثة آناً فاناً.

في المسجد السلفي:

عدنا إلى بيت الأخ عبد الرحيم كويا، وقد بقي من الوقت قليل على صلاة الجمعة، وكانوا أخبروني في المؤتمر أن الكلام فيه سيكون بلغات هندية، وستكون مناقشة بين الأديان بعد الظهر، لا يفهمها إلا أهل البلاد، لأنها ليست بلغة نعرفها.

لذلك آثرت إجابة هؤلاء الإخوة المسؤولين عن دار الأيتام في بلدة بترو نقادي إلى طلبهم زيارة دار الأيتام الكبيرة هذه.

وامتلأ المسجد الذي أسموه مسجد السلفيين، وهو الذي صلينا فيه صلاة الفجر، وأم الناس فيه الشيخ (أحمد علي مدني) نسبة إلى مدرسة مدينة العلوم التي تعلم فيها، وتقع في بلدة ليست بعيدة من مدينة كاليكوت على ساحل مليبار، وليس منسوباً إلى المدينة المنورة.

ونسبة الشخص إلى المدرسة التي تعلم فيها عادة تكون عامة في الهند؛ حيث ينسب الشخص إلى المدرسة التي تخرج منها، ويعرف بذلك أكثر ما يعرف بنسبه إلى اسم أسرته واسم بلدته التي ولد فيها، والقياس على ذلك كثير، لعل أقربه (الندوي)، وهي دار العلوم ندوة العلماء في لكنهو، التي نسب إليها العلامة الشهير السيد أبو الحسن الندوي، ونسب إليها أيضاً معه الألوف، وربما عشرات الألوف من المتخرجين في مدرسة

(ندوة العلماء) هذه من سائر أنحاء الهند، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

وأذكر بهذه المناسبة أن أحد الإخوة المسلمين من سكان مدينة (بوبهال) في وسط الهند أخبرني أن له عشرة أبناء ذكور من زوجتين اثنتين، كلهم تخرج في ندوة العلماء في لكنهو هذه، وأصبح يقال له (الندوي)، إذ تخرج فيها بنجاح.

وأخبرني هذا الأخ الهندي المسلم أنه حج عشرات مرات بعدد هؤلاء الأبناء، وكانت بعض هذه الحجات قبل تقييد الحج من قبل الحكومة الهندية في السنين الأخيرة.

والأخ الشيخ (أحمد على مدني) يعرف العربية جيداً، وقد صحبني في هذه المنطقة طول هذا اليوم، وانتفعت من صحبته جزاه الله خيراً.

وكانوا طلبوا مني أن أؤمهم في الصلاة، وأن أصلي بهم صلاة الجمعة، فامتنعت من ذلك.

وقد خطب الشيخ باللغة المحلية التي هي (مالايالم) بعد مقدمة بالعربية، وتلاوة آيات قرآنية، وقراءة أحاديث نبوية، وكان يوردها ويفسرها بلغتهم.

وهذا مفيد نافع، وليس كما يفعل بعض الناس من الخطبة بالعربية التي لا يفهمها المسلمون، فلا ينتفعون بما يلقيه.

وبعض أهل الهند من أئمة المساجد يلقون درساً قبل الصلاة بلغتهم المحلية، تكون بمثابة الخطبة حسب رأيهم، ويخطبون خطبة معتادة مختصرة جداً بالعربية، يتبعونها بالخطبة الثانية بالعربية، وهي مقتضبة أيضاً، ولا يستفيد منها أغلب الحاضرين.

وهذا يجمع بين فهم المصلين للموعظة، وبين الالتزام بالخطبة بالعربية، غير أن مشكلته أن على من يريد أن ينتفع من الموعظة أن يبكر إلى الصلاة، وبعض المصلين لا يستطيع أن يحضر مبكراً، وبعضهم يكسل عن ذلك، والفريضة هي حضور الصلاة فيفوتهم المقصود من الخطبة.

كما اعتادوا في كثير من المساجد أن يقوم وعاظ بعد الصلاة أيضاً، وإن لم يكن هذا في كل جمعة، فيلقي أحد المشايخ درساً بلغة القوم.

وبعد انقضاء الصلاة طلبوا مني أن ألقي فيهم كلمة، فتحدثت إليهم عن الأخوة الإسلامية، وعن قوة رابطة الدين التي تربط بين المسلمين، وأوضحت لهم أن الدين الإسلامي ليس دين العرب أو العجم، بل هو دين الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ فمن أخذ به أياً كان موقعه من الأرض، وأية كانت منزلته في المجتمع، فهو السيد عند الله وهو الأفضل ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾.

ثم ذكرتهم بأن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم لأن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾، وقد يقول قائل من المسلمين: كيف أدعو إلى الله وأنا لست من العلماء بالدين ؟ ونقول له: إن الآية الثانية الكريمة قالت: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، وقالت الآية الأخرى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فعلى غير العالم بأمور الدين أن يسأل العالم، وعلى من لا يستطيع أن يجد مالاً

ينفقه في الدعوة إلى الله أن يبحث عن الطرق التي يستطيعها، مثل الانضمام إلى جمعية إسلامية ترشده إلى موقع العمل بيده أو بدنه، أو حتى لسانه، وقد ترجم الشيخ أحمد على المدني حديثي هذا إلى لغتهم (مالايالم).

وتأملت المسجد فإذا له شرفتان داخليتان، إحداهما فوق الأخرى، واحدة منهما مخصصة للنساء، وكل المسجد مليء بالمصلين، ومنهم نسبة طيبة من الأطفال، إذ اعتادوا على أن يحضروا أبناءهم معهم إلى المسجد، ويلبسوهم لباساً نظيفاً مثل لباسهم.

ومن الأشياء الملفتة للنظر أن مكبر الصوت كان يدوياً، يعمل من حاشدة جافة (بطارية)، وذلك لعدم ثقتهم بالكهرباء، فقد انقطعت بالفعل أكثر من مرة أثناء وجودنا في المسجد.

وقد صلوا بعد الجمعة صلاة الغائب على أخ مسلم مات في مدينة كوشن التي قدمنا منها البارحة.

وبعد انقضاء الصلاة رجعت مع الأخ الكريم (عبد الرحيم) إلى بيته؛ حيث تناولنا طعام الغداء مع أبنائه واثنين من المرافقين، وكان غداء هندياً قدموا فيه لحم الدجاج الذي هو أغلى اللحم عندهم، فهو أغلى من لحم الغنم الذي يباع الكيلو منه بخمس وثلاثين روبية، وأغلى كثيراً من لحم البقر وسعره ١٥ روبية، وأرخص اللحوم عندهم لحم الجاموس.

فندق المعاناة:

بعد الغداء ذهبت إلى غرفتي النظيفة المؤثثة تأثيثاً جيداً، وفيها المكيف والمروحة كما ذكرت، إلا أن المكيف لا يعمل لضعف الكهرباء، والمروحة تدور أحياناً، وتقف عن الدوران في أكثر الأحيان،

وليس هذا هو المشكل، وإنما المشكل أن نوافذ الغرفة فوقها ستائر من القماش، وعندما أزحتها وجدتها تطل على جزء من حديقة البيت الذي قد تمر منه نساء منهم.

كما أنني لم استطع أن أخرج من الغرفة دفعاً للإحراج الذي أشعر به من جهة أهل البيت، وإلا فإنهم لم يقولوا لي شيئاً، بل إن همهم هو أن أنال الراحة التامة.

لذلك طلبت من مضيفي الأخ عبد الرحيم بعد العصر أن ينقلني إلى الفندق الموجود في البلدة، فذكر أن المنزل أحسن منه، ثم أراد أن يقنعني بذلك، فحملني بسيارته إلى الفندق، فرأيت أن كلامه صحيح، وأن الفندق مستواه أقل من مستوى البيت، وتبين أن الفندق للأخ عبد الرحيم أيضاً، من بناء عمارة فيها ثلاثة طوابق، الأول حوانيت تجارية مؤجرة، والثاني فرع لأحد البنوك، والثالث هو الفندق.

وقال الأخ عبد الرحيم كويا: هذا الفندق ملكي، ولكنني أرى أن الغرفة في البيت أفضل لك منه.

ومع ذلك فضلت الانتقال إلى الفندق، حتى أكون حراً في الحركة دون أن أشعر بأنني سببت إحراجاً لأحد، و(ليلة يا مكاري)؛ إذ سأتركه صباح غد إن شاء الله.

فنزلت في غرفة واسعة، فيها سريران ومروحة لا تدور في أكثر الأحيان بسبب انقطاع الكهرباء كما قدمت، وإنما الراحة تأتي إذا فتح الباب فصار الهواء يدخل من النافذة ويخرج منه.

وكان من المريح لي أنني أستطيع أن أنظر من النافذة العالية بحرية، ودون أن أسيء إلى أحد، فالمنظر مفتوح على أشجار عالية من أشجار

الغابات، بينها بيوت متطامنة متفرقة.

وطاب لي ذلك، فجلست أكتب في الغرفة حتى صلاة المغرب، فصليتها في المسجد مع موظف في الفندق أظنه حارساً، كان يحرص على المرور عليَّ لأذهب معه إلى المسجد.

ليلة ليلاء:

كانت المعاناة في هذا الفندق أنني لم أستطع أن أستفيد من فراغي في الليل في الكتابة والقراءة، وهذا ما كنت منيت نفسي به عندما انتقلت إليه، فقد أخبرني الأخ عبد الرحيم كويا أن المصابيح (اللمبات) الحمر تضيء من أول الليل، وأما البيض فإنها لا تضيء إلا بعد العاشرة مساء، وذلك عندما تنام العامة من الناس، فيتوفر في الكهرباء العامة قدر يكفي لإشعال هذه المصابيح البيض (الفلورسنت)، وكان هناك مصباح واحد أحمر مضيء فقط، لم أستطع أن أجد غيره، وكان نوره لا يزيد على أن يبصر المرء فيه قدمه، ولا تمكن الكتابة عليه.

ومع ذلك فإن البعوض والحشرات الصغيرة مثله قد ألحت عليَّ تنهش أطراف جسمي نهشاً.

ولا أستطيع أن أغلق النافذة بسبب الحر، وسألت عن دواء يقتل هذا البعوض، فلم يجده الموظف الوحيد في الفندق.

ثم انقطعت الكهرباء كلية، وبقيت في ظلام دامس، غير أن البعوض وشقيقاته لم ينقطع نشاطها، بل نشطت في الظلام، لأن الحر وركود الهواء في الغرفة ساعدها على الحركة.

وكانت ليلة لم أذق فيها غمضاً، ولم أستفد منها شيئاً.

إذا مر بي يوم ولم أســـتفد هـــدى ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمري

وجاؤوا بشمع بديل من الكهرباء.

وعادت الكهرباء، ثم انقطعت في العاشرة والنصف، وعندما عادت كانت المصابيح البيض تحاول أن تضيء ثم تعجز.

يوم السبت ٣/٥/١٤٠٧هـ ٣/١/١٩٨٧م

ما أحلى أذان الفجر:

ربما كنت قد مضت عليَّ مدة طويلة لم يكن فيها لأذان الفجر وقع جميل في نفسي مثل ما كان له اليوم، وإن كان له الوقع الجميل على كل الأحوال، فقد سمعت مؤذنين من مسجدين اثنين متباعدين، وهما يصدحان بالأذان الذي يلج الآذان من دون استئذان، كيف لا وهو في بلاد الهند الكافرة، وإن كانت بقع فيها مثل هذه البقعة التي نحن فيها بقعاً مسلمة، معمورة بإخوان لنا في الدين، ظلوا صابرين مصرين على دينهم، بل صاروا عاملين مجتهدين في نشره، وإيضاح محاسنه للآخرين، حتى كسبوا من أهل الهند إخواناً جدداً، فصاروا معهم أعواناً على الحق والخير.

وفرحت بالأذان الذي بشرني بقدوم النور والخلاص من الظلام والبعوض، فخرجت وحدي في ظلام الأزقة المتعرجة إلى المسجد، بعد أن أيقظت الحارس (نجم الدين) ليفتح لي الباب. ولم يكن فيها ما يثير الخوف أو القلق، فالأمان هنا هو السائد، والأمن متوفر للجميع، وإنما كان خوفي من تدهور في حفرة، أو زلق في ماء قد يكون غير نظيف، وذلك لقلة النور، وعدم معرفتي الدقيقة بحالة هذه الأزقة في النهار.

وجدت بعض الإخوة المصلين يتوضؤون من مكان للوضوء ملاصق للمسجد، فسمعتهم يتنخمون ويسعلون بأصوات ظاهرة، ومبالغة تثير التقزز، وحتى بعد الوضوء كان بعضهم يكثر من السعال، ربما كان ذلك بسبب الرطوبة البالغة في الجو، وكان أحدهم يفتح نافذة المسجد ليلقي بما في صدره خارج المسجد، ولا أدري لمَ لمْ يحمل معه منديلاً.

وقد صلى بنا الفجر أحد الإخوة، لكون الإمام كان غائباً في المؤتمر، فقرأ سورة لقمان كاملة بتلاوة مجودة محكمة، مما يغبط عليه، لأنه في بلادنا قلَّ أن يوجد من جماعة المسجد من يكون بمثابة نائب الإمام إذا كان طالب علم معروفاً.

وعند انتشار الضوء قبل طلوع الشمس كان سروري بالغاً لأنني استطعت الكتابة، وتصوير بعض ما حولي.

ولاحظت كثرة الغربان هنا، وبكورها في طلب الرزق، وكان نعيبها - أي أصواتها - يملأ الفندق، وهي تتطاير بكثرة لافتة للنظر.

ورأيتها مجتمعة في ماء راكد في أحد الأماكن، وهي تلتقط منه شيئاً، فذكرت قول بعض أهل الهند لي: إن الغربان نسميها نحن أهل الهند المنظفة، لأنها تنظف المكان بما تلتقط منه من أوساخ، وساءلت نفسي عما إذا كانت قد نظفت الهند، فرأيت أن ما رأيته في الهند، وقد رأيت أكثر ولاياتها، لا يؤيد هذه النظرية.

صباح الشرطي:

من الطريف أن مضيفي الأخ (عبد الرحيم كويا) لم يطلب مني جوازي عندما كنت عنده في بيته، ولكن عندما انتقلت إلى الفندق عصر أمس طلب الجواز لتسجيله حسب المتبع في الفنادق، فأعطيته إياه، ويظهر أن الأوراق لما وصلت للشرطة أرسلوا ضابطاً للفندق يتحقق من شخصي.

وكان جوازي (دبلوماسي) بيده، فقال لي: إن تاريخه فيه غلط، وأريد أن أستوضح أمره منك، ولم يكن في الجواز غلط أو إشكال، ولذلك لم يسألني عن التاريخ، وإنما كلمني ثم انصرف وهو يقول: شكراً.

ولاشك أن وجود (دبلوماسي) سعودي هنا في هذه البلدة الصغيرة النائية مما يلفت نظر الشرطة، لأنهم يحكمون على حامل الجواز السياسي أنه من رجال السياسة، ولا يتصورون أن يأتي لحضور اجتماع ديني مثل مؤتمر السلفيين هذا.

العودة إلى المؤتمر:

تركنا هذه البلدة في الساعة العاشرة ضحى، وودعت الأخ الكريم (عبد الرحيم كويا) وشكرته على ضيافته جزاه الله خيراً، وقد تخلف عني لأنه يريد أن يحمل أهله معه إلى المؤتمر.

وركبنا سيارة أخرى، صحبني فيها أخ كريم اسمه (عبد الحميد مدني) نسبة إلى المدينة المنورة، لأنه تخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة، وذكر أنه من تلاميذي؛ حيث كان يدرس في الجامعة الإسلامية في المدينة عندما كنت أعمل فيها.

وسألته بهذه المناسبة عن الأحسن له في بدنه من جهة الصحة والهواء العيش في المدينة المنورة أم هنا؟ فقال: هنا الجو أحسن، لأنه ليس فيه برد شديد، ولا حر شديد، وهذا صحيح، إلا أنني وأمثالي من الذين تعودوا على العيش في الجواء الجافة، نشعر بأن الرطوبة هنا ثقيلة، وربما لا يشعرون هم بذلك.

التوحيد على نهر (باراتا):

اختار الإخوة مكان المؤتمر السلفي الذي ينادي أهله، بل يجاهرون في تنقية العقيدة وتوحيد الله تعالى بالأقوال والأفعال في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته، أن يكون انعقاده على ضفة نهر (باراتا) أو (بهارتا) كما سبق

الكلام على اسمه، وذلك في مكان فسيح من منطقة على ضفاف النهر، قد حسر عنها النهر في هذا الفصل من السنة، فصارت أرضاً رملية خالية من الغبار، لأن النهر يغسلها بمياهه عندما تغمرها مياه الفيضانات.

وربما لا يعرف كثير من الناس أن هذا النهر يقدسه الهنادكة، ويعدونه في جملة الأنهار التي يحرقون عندها موتاهم، ويرمون برمادهم في مياهها، ويحرصون على الاغتسال منها، يزعمون أنه يطهر من الذنوب.

وهذا من الغريب أن ينادى بالتوحيد الخالص على ضفة نهر كان يمارس عنده دين وثني عريق في الوثنية وهو الهندوكية.

وعندما أقبلنا على مكان المؤتمر في هذا الصباح، واليوم هو السبت، وهو يوم عطلة لبعض الأعمال، وجدنا ما حوله يعج بالحركة، بل إنني قبل أن ننزل من السيارات عند مدخله تذكرت وأنا أرى الجمع الحاشد والزحام الهائل أيام الحج في مكة المكرمة، سواء من السيارات والأناسي، وقد انتهز بعض الباعة والتجار هذا الاجتماع، فشاركوا في وضع الإعلانات الكبيرة عن بضائعهم في لوحات ولا فتات كبيرة من مسافة بعيدة حتى مدخل المؤتمر، اهتبالاً لفرصة هذا الاجتماع العظيم.

إطعام خمسين الفاً:

لقد كنت أتعجب من كثرة الناس هنا ،. سواء منهم من كانوا في داخل مقر المؤتمر، أو من كانوا خارجه، وكان من هؤلاء عدد من غير المسلمين جذبهم الاجتماع، وقد يكون طاب لهم الاستماع إلى ما يلقى فيه، وبعضهم لم يكن له هم إلا الاستفادة ببيع ما عنده على هذا الجمع العظيم.

وقال الإخوة المرافقون: إن عدد الأشخاص الذين يطبخ لهم الطعام في المؤتمر هذا العام هو خمسون ألفاً وزيادة قليلة، وإن كل شخص من هؤلاء

يحمل معه بطاقة تخوله الحصول على وجبة من المطعم مقابل عشر روبيات، أي ريالين ونصف تقريباً.

وهذا مبلغ زهيد، ولكن القائمين على المؤتمر يعتبرونه ثمناً لما يقدم من طعام، لأنهم يتلقون تبرعات من الإخوة أهل البلاد القادرين على إقامة المؤتمر، وأخبرونا أن بعضهم ممن لا يستطيعون التبرع بالنقود، يتبرعون بأعيان، حتى إن بعضهم يحضر حبات من جوز الهند الناضج للانتفاع بزيته في إدام الطعام.

وليس لتقديم الغداء - مثلاً - ساعة محددة، بل هم يقدمونه تقريباً في كل النهار، وذلك لكثرة الناس، وعدم إمكان إطعامهم في لحظة واحدة.

وذكروا أنهم وضعوا في برنامج زيارتي الجولة في أنحاء المكان، قالوا: وقد نمر بالمطبخ فنريك إياه، وكانت الخطب تلقى، والناس في سائر أرجاء السرادق الواسع وما حوله يرون المتكلم من خلال أجهزة للتلفزة، قد وضعوها في أركان السرادق، إلى جانب سماع صوته من مكبرات الصوت المنتشرة في كل مكان.

كان البرنامج عندما وصلنا يذاع بلغة (ما لا يالم)، وهناك ركن آخر منفصل من السرادق فيه اجتماع خاص لمن يريدون الاستماع باللغة الأوردية، لكونهم لا يعرفون لغة (مالايالم) لغة كيرالا.

فذهبنا إلى الأخير لأن فيه رؤساء الجمعيات السلفية، ومعهم طائفة من رؤساء الجمعيات الإسلامية عامة، ومن العاملين في الحقل الإسلامي الذين جاؤوا من أنحاء الهند لحضور المؤتمر.

وكان فيهم عدد كبير ممن عرفتهم قبل ذلك، بل إن أكثرهم

كانوا ممن عرفتهم قبل ذلك، وكانوا أصدقاء لي أو تلاميذ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عندما كنت أعمل فيها.

وقد قرأ الشيخ عبد الحميد عبد الجبار مقررات بغية تضمينها مقررات المؤتمر باللغة العربية ثم بالأوردية، ونوقشت في الاجتماع، ثم وافقت الأغلبية منهم عليها، وذلك برفع الأيدي، وكان عدد الموافقين يقدر بتسعة أعشار الحاضرين، أو ٩٠٪ كما أصبح الكتاب يقولون.

ومن الغريب أن ضباطاً من الشرطة جاؤوا إلى المؤتمر، وطلبوا الاطلاع على جواز سفري، فأعطيتهم إياه فاطلعوا عليه ثم أعادوه.

الغداء الحافل:

أقيمت الصلاة جماعة عندما دخل وقت الظهر، فصلى أهل المؤتمر جمعاً وقصراً، لأن أكثرهم جاؤوا إلى هذه البلدة (كوتي بروم) من أماكن أخرى.

ونادونا بعد الصلاة للغداء، ونحن الذين أسمونا كبار الوفود، قد وضعوا لنا غداء خاصاً، وكان عددنا يقارب المائة، فكان غداؤنا هندياً جيداً من الأرز البرياني الذي فيه اللحم والبهارات والفلفل، وقد جعلوا اللحم من لحم الغنم، وتجنبوا البقر على رخصه، وربما كان ذلك من باب الإكرام للضيوف، لأن لحم الغنم عندهم أفضل من لحم البقر بكثير، لكون البقر الذي يربى للحم قليل.

وقد حدثونا على الغداء بأن المطبخ قد طبخ في هذا اليوم السبت طعاماً لستين ألف شخص، وإنه يتوقع أن يزيد هذا العدد مع قدوم عدد أكبر من المشاركين في حضور المؤتمر.

ثم كانت الجولة على أنحاء المؤتمر، وبدؤوا بالمطبخ الذي كنا نتحدث عنه، فرأينا المطبخ هائلاً، يطبخون الطعام فيه بقدور كالجوابي، ويطعمون الناس بالبطاقات لكل وجبة، لأن من دفع السعر الرمزي للطعام إلى مسؤول مالي في المؤتمر أخذ ورقة استطاع الحصول بها على وجبة طعام، ومن لم يستطع ذلك لم يحصل له طعام.

وهذا بطبيعة الحال هو الأمر بالنسبة لسائر الناس، أما الضيوف الكبار فإن لهم شأناً آخر كما قدمت، والطعام العام من الأرز مع اللحم والبهارات يوضع في صحون من الورق ترمى بعد الانتهاء منها.

والغرابة في الماء الذي وضعوا له حياضاً في الأرض من الشراع، محفوراً لها في الأرض، وفيها مغرف كبير يفرغ في الأواني الصغيرة.

ويظل الطباخون طول الوقت يطعمون الناس.

والواقع أنه لو كان هذا المطبخ لحكومة من الحكومات كما نعرف ذلك في بلادنا لاحتاج إلى جماعة كبيرة من الناس لإدارته، وهي تحتاج إلى رواتب ونفقات ضخمة مقابل عملها، أما هؤلاء الإخوة فإنه ماعدا العمال الذين يطبخون، فإن الكل متبرع بنفسه وماله أو بكليهما، لإنجاح مؤتمر المنظمات السلفية هذا.

سوق الكتب:

ثم انتقلنا لمشاهدة المكتبة الأوردية، أي التي جميع الكتب المعروضة فيها باللغة الأوردية، وهي مكتبة بيع للكتب الإسلامية وما يتصل بذلك، فتباع الكتب فيها بأسعار معتدلة، والذي يبيعها هو المؤتمر، أو بموجب اتفاق مع القائمين عليه، فيربح شيئاً من المال يسهم في سد نفقاته، وفي الواقع نفسه يستفيد من يشتري الكتب من شرائها.

وقد رأينا الناس يشترون الكتب، حتى إن الذين يغلفون الكتب المباعة أو يربطونها في رزم كانوا مشغولين بذلك طول الوقت، والناس حولهم صف طويل.

وبجانب المكتبة الأوردية مكتبة حافلة بالكتب الأخرى من (مالايالمية) وإنكليزية وتاميلية وغيرها.

معرض الجهاد:

وبعد ذلك وصلنا إلى معرض الجهاد، وأول ما فيه لافتة تقول: الإسلام انتشر بالحجة، ولم ينتشر بالسيف. وفي قاعة من المعرض الذي هو بالأخشاب والقش أو الخيام، رسوم كثيرة متعددة، منها رسوم لبيان القبلة في الصلاة.

ومع ذلك رسموا سيوفاً وسلاحاً ذكروا أن الجهاد يحتاج إليها.

معالم البدعة:

وهناك عدة قاعات صغيرة كتبوا على واجهتها بيان محتوياتها، وهي معالم البدعة، وفيها رسوم للبدع الشائعة، أي تمثل مظاهر البدع، من ذلك صندوق للنذور التي يأخذ المخرفون من العامة الأموال فيها، ويضعونها على قبور الأولياء والصالحين، وحتى يحتالوا على الناس بأخذها لمجرد كسب المال.

وأعداد من الودع التي يستعملها المخرفون في تخويف العامة.

ثم شجرة لا ثمر لها، قالوا: إنها تمثل البدع التي تتخذ شكل العبادة في الشجرة التي لا تثمر، وإن كانت لها صورة الشجر العظيم، فإنه لا

فائدة فيها.

ورسم لكف الإنسان وتحته الكتابة توضح بأن علم الكف، أو قراءة المستقبل من الكف هو بدعة لا أصل لها.

ولوحة ظاهرة بخط عربي ثم ترجمتها للأثر الشريف: (إن العيافة والطرق والطيرة شرك).

ثم قاعة فيها أدوات السحر والشعوذة، ومنها حزمتان من العظام والخيوط، وذكروا بطلان ذلك، كما عرضوا كتباً من كتب الطلسمات، وهي مكتوبة بالعربية، وكيف أن المبتدعين والمشعوذين يكتبون طلسمات من هذه الكتب بكلمات لا معنى لها على صحون ونحوها، ويغسلونها بماء يشربه الناس.

كما يكتبونها في تمائم من الورق والجلد، يعلقونها في الرقبة أو يحزمونها على الكف.

وبجانب ذلك الحديث: (من علق تميمة فقد أشرك). في النهي عن هذه التمائم.

ثم غرفة أخرى من غرف معالم البدع، تمثل البدع المتعلقة بالقبور والأموات، ومنها صورة مجسمة لقبر بنيت فوقه قبة.

ومنها صورة قبر لولي ذكر في سيرته أنه لم يكن يغتسل ولا يصلي في حياته، ومع ذلك يقصده أهل البدع للتبرك به.

وصورة لقبر ولي غير معروف، ولا يعرف شخصه، ولا صحة كونه وليا أم غير ولي، ولكن الناس من العامة والمبتدعة من طلبة العلم يقصدون قبره للدعاء عنده، والتقرب بالصلاة والنفقة والنذر حوله.

ثم كرروا في غرفة أخرى صورة من صور الشعوذة والدجل في رسم

بيضة وجوزة من جوز الهند الذي هو النارجيل، وقد كتب على كل واحدة منهما كلمات غير مفهومة وشعوذات، يزعم المبتدعون أنها تنفع أو تضر.

وأفردوا ركناً لتمثيل قبر امرأة في بلدة تسمى (بيما بليٍّ)، والنساء يقصدن قبرها من أجل أن تجعلهن يحملن، وهو قبر معروف مشهور عندهم.

وغرفتان مثلوا فيهما الخرافات وهي تتضارب وتتعارض، وبعضها يضرب بعضاً، لأنها ليست على أساس شرعي.

وكان ألطف ما عرضوه منظر الصوفي الذي يدعي الولاية بكونه يفعل خوارق العادات، ومن ذلك كونه يجلس على الهواء دون مقعد.

وقد أجلسوا شخصاً حقيقياً بيده مسبحة طويلة، وعليه لباس الصوفية، وهو معلق في الهواء بحبل دقيق، ولكنه قوي ولا يكاد يرى، قد علقوه بطريقة خفية في السقف، فأصبح يظهر لغير المتأمل لحاله وكأنما هو جالس على الهواء ليس تحته شيء، وهو مطرق متصنع للخشوع، يحرك مسبحة بأطراف أصابعه ويهمهم بما لا يفهمه الناس طول الوقت، وأحيانا يتحرك في الهواء عن طريق الخيط الذي يمسك به من أعلى؟

ولقد عجبت من طول صبره على هذا الوضع الصعب، كما أعجبتني طريقتهم في عرض هذه البدع وتجسيمها، بحيث تتضح للجاهل والعالم أنها مخالفة للشرع، لأنهم يوضحون ذلك بالكتابة، فيقولون مثلاً عند الرجل المعلق بالهواء إن المخرفين والمبتدعة يوهمونكم بولاية مثل هذا الرجل، وأنه يفعل خوارق العادات، والواقع أن الأمر ليس كذلك، وإنما هذه حيلة يمكن لأي شخص حاذق أن يفعلها، مثلما صنع هذا الرجل، فلا تغتروا بها.

وقد اجتذبت طريقتهم هذه أعداداً هائلة من الناس لمشاهدتها،

ومتابعة الشرح والإيضاح عليها، مما جعلها ترسخ في أذهان الناس أكثر مما لو كانت مجرد شرح بالكلمات.

القرآن وعلومه:

من ركن المعالم البدعية انتقلنا إلى الأصل الأصيل للعقيدة الصحيحة: كتاب الله تعالى، في غرفة خاصة أسموها غرفة القرآن الكريم وعلومه، فيها مصاحف متعددة، وتسجيلات تذاع منها تلاوة القرآن الكريم بصفة مستمرة، ولوحات عن رسم القرآن الكريم، وكيف كانت الآيات الكريمة ترسم على هيئة (طغراء) مثلاً، وهي التي تسمى الطرة عند بعض الكتاب، وغير ذلك من أشكال رسم الآيات.

وبجانبه غرفة أخرى تتضمن رسوماً وبيانات عن مضار الخمر والربا وغيرهما من الكبائر التي نهى عنها القرآن الكريم.

ركن المعاقين:

ثم ركناً كاملاً يشتمل على ما يتعلق بالمعاقين، وهم الزمنى من المرضى الذين أصيبوا بأمراض مزمنة مستعصية، عطلت بعض أعضائهم عن العمل، ووجدنا بعضهم وهم يمارسون أعمالاً تنفق مع عاهاتهم، فمنهم من رأيناهم يضربون على الآلة الكاتبة رغم عماهم، وآخر يصف حروف الطباعة وهو لا يبصر، وأناس يلعبون الشطرنج وهم عمي كذلك، وبعضهم كانوا ينسجون كرات من الخيوط وحبالاً ينتفع بها.

وبعض العميان كانوا يقرؤون بطريقة برايل للمكفوفين، وخصصوا غرفة لتعليم الصم بآلات حديثة، وأخرى للعميان بطرق اللمس، وقد عرضوا بعض ما عمله هؤلاء المعاقون للبيع، ففي ذلك منفعة لهم، لأن جزءاً

من ثمنه أو كله عائد له، وهو بمثابة التبرع لهم:

الغرفة الطبية:

تضمنت هذه الغرفة الطبية عرض بعض الأعشاب الطبية المعروفة عندهم، وكيفية التداوي بها، وأكثرها مما يسميه أطباء العرب بالأدوية المفردة، أي غير المركبة مع غيرها.

وفي غرفة مجاورة لها رسوم إيضاحية تبين تطور الجنين في الخلق، طبقاً لما ورد في القرآن الكريم.

غرفة الطوابع:

لم ينسوا هواة جمع الطوابع، فخصوهم من المعرض بغرفة، عرضوا فيها طائفة من الطوابع التي صدرت في الهند وغيرها من البلدان، مع التأكيد على الطوابع التي صدرت في البلدان الإسلامية، ومنها البلدان العربية، وطوابع عديدة من التي صدرت في المملكة العربية السعودية.

المراكز الإسلامية في كيرالا:

خصصوا غرفة واسعة لبيان المراكز الإسلامية السلفية في ولاية كيرالا هذه التي يقام بها المؤتمر، من مساجد ومعاهد ومدارس ودور للأيتام، وتتضمن صوراً لعدد من المساجد المشهورة في هذه الولاية.

وكان مسك الختام الاطلاع على ركن من المعرض مخصص للمخطوطات العربية، منها ما هو بخط ذي طابع محلي، ومنها مخطوطات قديمة بعضها بالكوفي، ولكنها لا ترقى في القدم إلى ما هو موجود عندنا في البلدان العربية.

وقد انتهت جولتنا في معرض المؤتمر، بينما كانت مكبرات الصوت تصدح بالخطب باللغات المحلية، وقد جعلوا قسماً من البرنامج خاصاً بالنساء، فرأيناهن قد اجتمعن بألوف مؤلفة يستمعن إلى تلك المحاضرات، كما كنا رأيناهن يشترين الكتب من المعرض.

وعدنا إلى الركن المخصص لاستراحة كبار الضيوف في المعرض، وهو خلف المنصة الرئيسية، ومنفصل عنها، بحيث لا يرى المؤتمرون من يكونون فيه.

وأمضينا جزءاً من الوقت في شرب الشاي والتحدث مع الإخوة الحاضرين، وفيهم بعض العرب من الكويت والإمارات، ومنهم الأخ الكريم المهندس طارق العيسى من جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت، وتهتم جمعيتهم بالمساعدة على بناء المساجد، والتبرع لصيانتها، وقد جمعت مبالغ من ذلك من أهل الخير، وقدمت مبالغ منه للقائمين على بعض المساجد في الهند، وبخاصة السلفيين منهم.

كما اجتمعنا أيضاً بطائفة من الإخوة من علماء الهند، وتذاكرنا في أمور الدعوة والحركة الإسلامية في هذه البلاد الهندية، ومن أهم ذلك إسلام طوائف من المنبوذين الذين يسمون (الهاريجان) في ولاية (تامل نادو)، وكيف أنهم ثبتوا على إسلامهم رغم الإغراءات بالوعود من غلاة الهنادكة من البراهمة ومن شايعهم، ممن يعدون أنفسهم أعلى من هؤلاء (الهاريجان) المنبوذين مقاماً، ويترفعون عليهم.

وذكر الإخوة من أهل (تامل نادو) أن المنبوذين الذين أسلموا، قالوا لأولئك المتعصبين من الهنادكة: لقد وجدنا في الإسلام الأخوة الصادقة، والمساواة بين المسلمين، فنحن صرنا كسائر المسلمين، نأكل معهم ونتزاوج وإياهم، ولن نرضى بإسلامنا بديلاً.

وكانت عدة قرى من هؤلاء قد دخلت في الإسلام في تلك الولاية قبل أربع سنوات، ثم توالى دخول أعداد منهم في دين الله على هيئة أفراد وجماعات صغيرة.

مسجد مكة:

ودعنا الإخوة الكرام الذين كانوا في المؤتمر، وغادرنا (كتي بورم) البلدة التي عقد فيها المؤتمر عائدين إلى مدينة كوشن، من أجل السفر منها غداً الأحد كما كان مقرراً.

إلا أنهم أخبرونا أن البرنامج يتضمن أن نضع حجر الأساس لمسجد جديد يقام في ناحية من هذه المنطقة، غير بعيد من (كتي بوروم).

وقد وجدنا في مكان المسجد بعض الإخوة الذين كانوا في استقبالنا منهم رئيس لجنة المسجد الأخ (محمد بابو حاجي)، وهو تاجر وسكرتير اللجنة الأخ كنجي أحمد حاجي، وأمين الصندوق فيها الأخ علي إسماعيل، وعدد من أعضاء الجمعية وأهل الضاحية، وقد أخبرونا أن الأخ محمد بابو حاجي قد تبرع بخمسين ألف روبية، وكذلك سكرتير اللجنة تبرع بخمسين ألفاً، وذلك من أجل شراء أرض المسجد التي اشتروها منذ فترة، ويعملون الآن على جمع التبرعات لبناء المسجد.

وأخبرتهم أننا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مستعدون لمساعدتهم على ذلك بعد أن يبدؤوا البناء، وذكروا لنا أنهم انتهزوا فرصة وجودنا هنا من أجل وضع حجر الأساس تيمناً لأننا جئنا من مكة المكرمة، وقد قمت بالفعل بوضع حجر الأساس، وبنيت جزءاً منه بقليل من الإسمنت الذي كانوا قد أعدوه، وذلك بعد أن كبّرت الله تعالى وحمدته، وشكرت هؤلاء الإخوة على جهودهم الطيبة المباركة، ومنها

ذلك التبرع السخي الذي قدمه اثنان منهم لجمعية المسجد، وقدره مائة ألف روبية، وسألت الله تعالى أن يثيبهم، وأن يخلفه لهم، لأن الرسول ﷺ قال: (ما نقص مال من صدقة، بل تزده، بل تزده).

وذكرت له أن هذا هو الذي يبقى لهم ثوابه، لأن الدنيا فانية، ولا يبقى للمرء بعد موته إلا ما قدمه لنفسه من خير. وقد ترجم كلمتي الأخ عبد الوهاب خلجي نائب الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية.

وطلبوا مني أن اسمي المسجد، فبعضهم قال: نسميه (مسجد محمد)، فقلت/ أرى أن تسموه (مسجد مكة المكرمة)، وذلك بعد أن أخبرتهم أن إطلاق الاسم على المسجد ليس ضرورياً، بل يكفي أن يعرف بشعاره وبنائه أنه مسجد.

فقالوا: إننا نعرف ذلك، ولكننا نريد أن يكون له اسم خاص من أجل إثبات ذلك في أوراق التبرعات والوصايا والأوقاف فيما بعد.

وقد حضر حفل الافتتاح الذي كان بسيطاً يتفق مع جمال المناسبة، وهي مناسبة تشييد بيت من بيوت الله في هذه المنطقة عدد من أهل بلدة (كوتي بروم).

العودة إلى كوشن:

انطلقنا من منطقة (كتي نوروم) التي أقيم فيها المؤتمر عائدين إلى مدينة كوشن، وقد أوشكت الشمس على المغيب على سيارة صغيرة من طراز (امباسا دور) المصنوعة في الهند.

ولم نقف إلا في بلدة تسمى (تشرشور) فيها مطعم لأحد الإخوة المسلمين، تناولنا طعام العشاء فيه، وصلينا المغرب والعشاء جمعاً في غرفة

نظيفة قد أعدها لصلاة المسافرين الذين يمرون بمطعمه.

وقد أكلنا عنده طعاماً رخيصاً، ثم وصلنا في نحو العاشرة إلى كوشن، ونزلنا في فندق (آباد بلازا) الذي كنا قد استرحنا فيه قبل يومين، فوجدت الإخوة حجزوا لي فيه غرفة بأجرة مخفضة حسب اتفاق مسبق مع صاحب الفندق، وهو من إخواننا المسلمين السلفيين، بمائة وسبع وخمسين روبية، ويساوي ذلك نحو اثني عشر دولاراً أمريكياً.

وسارعت بدفع المبلغ رغم ممانعة الإخوة المرافقين الذين رأيتهم يسرعون وهم يهمون بدفع الأجرة، لأنهم جاؤوا معي من (كتي بوروم) حيث المؤتمر، وذلك بعد أن عرضوا عليَّ أن يبقوا معي إلى الغد حتى يطمئنوا على سفري، وكان معنى ذلك تعطل أعمالهم هناك، وهم من القائمين النشطين على أمر المؤتمر.

فامتنعت أيضاً من بقائهم، ورغبت إليهم أن يعودوا إلى أعمالهم في المؤتمر، وبقي معي أخ كريم من طلبة العلم الذين جاؤوا إلى المؤتمر، واسمه الشيخ (عبد المتين)، وهو إمام مسجد جامع في مدينة (بنقلور) في ولاية كرناتكا المجاورة لولاية كيرالا، وقد سبق ذكرها.

فودعتهم وانصرفوا راجعين بعد أن دفعت أجر غرفتي وغرفة الأخ الشيخ عبد المتين، لأنه رقيق الحال.

ورحت في نوم عميق خالٍ من الحر ومن لسع البعوض، لأن الفندق حديث ومكيف الغرف، بعد أن نبهت أهل الفندق في أن يوقظوني وصاحبي في الخامسة صباحاً، حذراً من الاستغراق في النوم لئلا يفوت موعد الطائرة إلى بومبي الذي ذكروا لنا أنه سيكون في السابعة إلا ربعاً.

يوم الأحد ١٤٠٧/٥/٤هـ

الخروج إلى المطار:

أسرعنا في مغادرة الفندق قبل السادسة صباحاً بقليل ولما تشرق الشمس مع سيارة أجرة دفعنا لها ٤٠ روبية، فوصلنا إلى المطار في السادسة والنصف، وتنفست الصعداء عندما وصلته، إذ تخلصت من الرائحة الكريهة التي كانت تنبعث من سائق السيارة ومن ثيابه، ولكننا وجدنا المطار مغلقاً من الخارج، بمعنى أن الدخول إلى قاعات الترحيل غير ممكن، ووجدنا زحام الناس حول الباب، كلٌ يريد أن يكون بقرب الباب حتى يدخل قبل غيره إذا فتح.

وبعد قليل فتحوا الباب، ولم يسمحوا بالدخول إلا للمسافرين الذين يبرزون تذاكر سفرهم وبطاقاتهم الشخصية، وأسرع المسافرون إلى الوقوف أمام مكاتب الترحيل، وكان حجزي حجزاً غير مؤكد، بل هو على قائمة الانتظار، وكان الإخوة قد أخبروني بذلك، إلا أنهم كانوا طلبوا من أحد الأشخاص أن يسعى في تأكيد الحجز، ويظهر أنه فعل ذلك، ولكنه لم يستطع لكثرة الركاب وقلة الأماكن، حتى إن قائمة الركاب كانت تأتي من آلة عندهم كالآلات الحاسبة، يشرف عليها مدير شركة الطيران في المطار.

وبحثت في حانوت في المطار عن البطاقات البريدية المعتادة في مثل هذه المطارات، فلم أجد منها شيئاً، بل لم يعرفها أهل الحانوت وهم رجل وامرأة، وذكروا أنهم لم يبيعوا مثلها في الماضي، وقد كلمتهم بالإنكليزية، وكلمهم أحد الموجودين بلغتهم المحلية.

الحبس في المطار:

قامت الطائرة التي نريدها إلى بومبي دون أن نستطيع الركوب فيها، لأن عدد المنتظرين كان ٥٤ قبلنا، ولم يأخذوا منهم إلا عدداً قليلاً.

فطلبنا أن نحول سفرنا إلى جهة أخرى فوجدنا الطائرات المسافرة اليوم كلها مليئة، فسجلنا أسماءنا على قائمة الانتظار على الطائرات التي تقصد جهات أخرى، عسى أن نستطيع السفر منها إلى بومبي، أو إلى (حيدر آباد) حيث أردت أن أذهب إلى هناك من بومبي، فكان رقمنا في قائمة المنتظرين إلى بنقلور (٤٨)، وإلى مدينة مدراس (١٠٤).

وقد اشتد الزحام في المطار، وذهب مرافقي في هذا المطار الأخ عبد المتين إلى المدير المسؤول فأراه جواز سفري، وقال: هذا (دبلوماسي) سعودي متعطل هنا، فذكر أنه لا يملك أن ينزل راكباً ويقدمني عليه. وهذا صحيح.

وأضاف أنه يمكن أن نجد مكاناً في الرحلة الأخيرة من رحلات ثلاث تسافر اليوم إلى بومبي في الساعة الثالثة والنصف ظهراً، وكل هذه الرحلات على طائرات نفاثة صغيرة هي بوينج ٧٣٧ ، وهي كلها تقل حمولتها من الركاب عن حمولة طائرة واحدة من الجامبو ٧٤٧.

وقامت الرحلة الثانية إلى بومبي، والرحلة الوحيدة إلى بنقلور، وكذلك كان الأمر مع الطائرة التي ذهبت إلى مدراس، ولم يتيسر لي مكان فيها، مع أن مرافقي الأخ عبد المتين، وكان المسؤولون في المؤتمر انتدبوه لهذا الغرض، أخبرني أنه لا يهتم إلا بأمري، وإلا فإنه أيضاً لم يجد له مكاناً في هذه الطائرات.

وملنا الانتظار في المطار، وقال مدير الشركة إنه لم يبق إلا هذه

الرحلة الأخيرة إلى بومبي، وأنصحكم أن تسافروا بالقطار إلى بنقلور، ومن هناك إلى بومبي، لأن الطائرة التي تقوم من بنقلور إلى بومبي هي (أيرباص)، وهي كبيرة، وليست كهذه الطائرات التي تقلع من هذا المطار صغيرة.

إلى محطة القطار:

يئست من السفر بالطائرة، فاتجهت إلى القطار، لأن صاحبي وهو من بنقلور ذكر لي أنه سمع من أناس في المطار أن المسافة تستغرق سبع ساعات، وأن الدرجة الأولى مريحة، فأسرعنا الخروج من المطار نحمل أمتعتي، وكانت الساعة تقارب الثانية ظهراً، والقطار يتحرك في الثانية والنصف.

فقال موظف المحطة: إنه لا توجد في القطار درجة أولى ولا ثانية، إنما توجد الدرجة الثالثة، فقطعنا تذكرتين بخمسين روبية في الدرجة الأولى، على أمل أن نصل في الليل إلى بنقلور، ونضمن السفر غدا إلى بومبي أو حيدر اباد.

وقفنا معنا أمتعتنا مع مسافرين ينتظرون القطار مثلنا، وأغلبهم ذو مظهر غير نظيف، وتبين عليهم رقة الحال.

وتحادث معهم مرافقي الأخ (عبد المتين)، ثم جاء إليَّ يقول: إن هذا القطار لا يصلح لك، لقد أخبرني أكثر من شخص أنه يأتي إلى محطة (كوشن) هذه وهو مليء بالركاب، فلا يكاد المرء يجد فيه مكاناً لوقوفه، فكيف تصبر على ذلك، وكيف تصنع بأمتعتك؟ وكان هذا شيئاً ليس في الحسبان، فقد وافقت بناء على نصيحته على الركوب بالقطار في الدرجة الأولى.

حتى إن بعضهم تبرع بالنصيحة عندما رآني أجنبياً يرتدي ملابس نظيفة بالقول إنكم ستتعبون، واتفق رأينا على أن نلغي الرحلة، واستعدنا قيمة التذكرتين بعد أن حسم الموظف منها ١٠٪ ؟

ومحطة الحافلات:

وقال الشيخ عبد المتين: لقد أخبروني أن هناك حافلة لشركة تسير الحافلات من هنا إلى بنقلور، وأن الحافلة تقوم في الخامسة وتصل في الثانية عشر ليلاً في مكتب ذكروه له.

فلما وصلنا إليه أخبره الموظف أن الحافلة قد حجزت كل مقاعدها منذ الصباح، ولا وسيلة إلا بالذهاب لشركة حافلات أخرى تقوم لها حافلة في السابعة مساء.

فعدنا إلى ركوب سيارة أجرة إلى مقر الحافلة، فلم يجد مرافقي في مكتبها أحداً، ولكنه وجد أناساً ذكروا له أن الموظف يأتي في الخامسة، وكانت الساعة الآن فوق الثالثة، ومعي أمتعتي، فبحثنا عن مكان نستريح فيه، ووجدناه في فندق يملكه مسلمون بجانب محطة الحافلات، فطلبنا منه غرفة نستريح فيها لمدة ٤ ساعات، فأنزلنا في غرفة بسريرين، وطلب دفع أجرتها مقدمة ٢١ روبية، وكنت أظن هذه الروبيات لأربع ساعات، فإذا بي أعرف بعد ذلك أنها أجرة الغرفة لأربع وعشرين ساعة، وقد اخترنا الإقامة فيه لأنه بجانب محطة الحافلات.

إلا أنه ينزل إلى أحط درجة غير معروفة في الرداءة في الفنادق، فهو غير نظيف، والغرفة فيها حمام له رائحة كريهة، والبعوض يحوم في الغرفة، ويلهب الأجساد بعد الظهر فكيف بالليل!.

وأما المطعم عندما نزلنا إليه فإنه لا يأكل فيه إلا المضطر، وحتى

العاملون فيه هم جزء من هذا الذي ذكرته، فبعضهم عراة الأجساد إلا من سروال قصير، وبعضهم عليه قميص قصير الكمين، متسخ كاتساخ جلد صاحبه الذي يتصبب عرقاً كريهاً.

ولكننا كنا نريد القرب من محطة الحافلة.

وصلينا فيه المغرب والعشاء جمعاً، والمروحة فيه على أعلى درجة فيها من أجل مكافحة البعوض.

وقد ذهب صاحبي الشيخ عبد المتين قبل الموعد المحدد للحجز إلى الموظف، فقال له: لقد حجزت مقاعد الحافلة كلها قبل وصولك، وأفاد أنها تقوم في التاسعة مساء، وتصل إلى بنقلور في التاسعة صباحاً من صباح الغد.

قال لي الشيخ عبد المتين وقد تكلمت عليه من شدة تأثري، فأخذ بيدي وأراني الحافلة، وإذا بها مليئة بالركاب، مع أنه قد بقيت على موعد قيامها ساعتان ونصف.

وأسدى الموظف إليه نصيحة، وهو أن نحجز منذ الآن، وذلك بدفع الأجرة، لأنه لا حجز إلا لمن يدفع الأجرة على حافلة تقوم الساعة الخامسة فجر الغد، وتصل إلى بنقلور في الثامنة مساء.

فأيست من مغادرة (كوشن)، وعدت إلى فندق (آباد بلازا) الجميل المريح، وقد أخذ التعب مني مأخذه، وليس ذلك من أجل المشقة البدنية، فهو أمر تعودت عليه، ولا يسبب لي هذا التعب، ولا من عدم السفر، فذلك أيضاً أمر يحدث كثيراً، وإنما الذي أتعبني كثرة المنغصات هذا اليوم، من الوساخة الظاهرة في أثواب الناس وملابسهم، ومن عدم الذوق في المعاملة، ويمكن تلخيص ذلك كله بأنه عدم الجمال.

يوم الإثنين ٥/٥/١٤٠٧هـ

السفر إلى بومبي:

انضم إلى رفقتي الأخ الشيخ عبد الحميد عبد الجبار الرحماني، وكان يريد السفر إلى دلهي، فخرجنا إلى المطار مبكرين كالعادة، وسعى الأخ عبد الحميد إلى الاتصال بعضو في المجلس النيابي في الولاية عسى أن يساعدنا، وبموظف كبير آخر كان عرفه قبل ذلك من أجل مساعدتي في السفر، إلا أنه لم يجد منهم أحداً في هذا الصباح الباكر.

ولكن جاء الفرج من حيث لم أحتسب، فقد احتاجوا إلى عدة مقاعد من المنتظرين، وكنت سجلت اسمي في الانتظار، فكان اسمي آخر واحد في ركاب الطائرة.

وأسرعت كأنما أفلتّ من عقال، وأنا لا أكاد أصدق أعدو إلى الطائرة لئلا تفوتني، وموظف في المطار يقول: تمهل فلا عليك من ذلك.

وأركبوني في أخر مقعد في آخر صف منها، ورثيت بعد أن اطمأننت إلى السفر لمواطني الدول المتخلفة في الإدارة الذين تكون تنقلاتهم حافلة بالمنغصات، والمرافق العامة عندهم لا تفي بحاجة الجماهير.

والأدهى من ذلك أنهم لا يثقون في الموظفين الذين عودوهم على عدم الصدق في القول والإخلاص في العمل، لذلك تجدهم يتعبون ويتعبون غيرهم.

وإلا فإن حالة الازدحام هذه التي حصلت بالأمس، لو حصلت في بلاد متقدمة لكانت أرسلت شركة الطيران طائرة أكبر تحمل الجميع، أو أرسلت طائرة إضافية، بعد أن تقيد العدد اللازم لها من الركاب مثلاً.

وقامت هذه الطائرة إلى بومبي في الثامنة صباحاً.

وكانت مليئة كلها بالركاب كالعادة، وهي من طراز بوينج ٧٣٧.

ومع أن الطيران معتاد، ولم يحدث في الطائرة اضطرابات أو اهتزازات غير معتادة، فقد رأيت بعضهم يقيئون في الطائرة، كأنما أصابهم الدوار، ربما لكونهم لم يتعودوا على السفر بالطائرات، أو ربما لكونهم يعانون من شيء.

والمشكل في الأمر أن جيوب المقاعد في الطائرة خالية تماماً من أكياس القيء، لذلك كان هؤلاء الذين أصيبوا بالدوار - وهم قلة - يلقون بالقيء في فوط معهم، وأخذت إحدى النساء التي أصيبت بالدوار الخرقة الصغيرة التي تكون في أعلى المقعد يسند إليها الراكب رأسه فانتزعتها رغم تثبيتها وصارت تقيء فيها.

وليس هذا هو المنغص الوحيد في هذه الطائرة، وإنما كانت المضيفة تمسح أنفها بظاهر كفها، وهي تتردد في الطائرة قبل تقديم الإفطار.

وعادة مسح الأنف باليد أو (تسليكه) بالأصابع أمام الناس أمر مألوف في الهند، وربما كان ذلك راجعاً في الأصل لكثرة وضع الفلفل في الطعام، لأن الفلفل يسيل الأنف، ثم يتجمد ذلك بعد ذلك، فيرون أنه من الضروري أن يزيلوه من أنوفهم، ويكون ذلك بأصابعهم.

في مطار بومبي:

حطت الطائرة في مطار بومبي في التاسعة والدقيقة الثانية والأربعين بعد طيران استغرق ساعة واثنتين وأربعين دقيقة.

ولم يكن من هدفي الدخول إلى مدينة بومبي، وإنما كانت غايتي

السفر إلى مدينة حيدر آباد عاصمة ولاية (اندرا براديش) إحدى ولايات الجنوب، وإن كانت هي الشمالية من تلك الولايات، غير أنني لم أجد إلى ذلك وسيلة من كوشن.

لذلك أسرعت أحجز من مطار بومبي مقعداً لي من بومبي إلى (حيدرآباد)، وكانت معي تذكرة جاهزة، فحجزت حجز انتظار في الواحدة والنصف ظهراً، وحجزاً مؤكداً على رحلة تغادر في السادسة والنصف مساء، وبقيت في ركن في قاعة في المطار معي أمتعتي أكتب، حتى حان وقت الرحلة الأولى فوقفنا صفاً في الانتظار.

وعندما انتهى ترحيل المسافرين جاؤوا بشريحة من الحاسب الآلي، وأخذوا ينادون على ركاب الانتظار، كل برقمه الذي أعطوه إياه من قبل، مكتوب أمام اسمه، حتى وصلوا إلى اسمي، فأسرعت إلى وزن الحقائب مع أن وقت المغادرة المحدد للطائرة قد قرب.

وهذه طريقة عندهم جيدة في مناداة ركاب الانتظار وترحيلهم الأول فالأول.

ودخلنا قاعة المغادرة بعد أن مررنا بالتفتيش الآلي الكهربائي واليدوي، وأخذت الحقائب اليدوية من أربابها عند الدخول إلى القاعة، فوجدوها في القاعة قد ختموا على ورقة معلقة فيها علامة على أنها قد فتشت.

وهذا من الإجراءات الاحتياطية الشديدة عندهم، حذراً من اختطاف الطائرات.

ومن الاحتياط أيضاً أنهم طلبوا من كل راكب أن يتعرف على أمتعته، وما عرفه الركاب منها ختموه بختم خاص، وكثيراً ما كانوا

يقارنون بين البطاقة المعلقة على الحقيبة وقسيمتها التي يحملها الراكب بيده، ليتأكدوا من أنه لم يغلط.

وقد امتلأت قاعة المغادرة بالركاب، لأن طائرتنا كبيرة من طراز الحافلة الجوية (إيرباص)، ومعها رحلات أخرى، وليس في القاعة هذه مقصف ولا مقهاة، وذلك أنهم لا يدخلون الركاب إليها إلا قبل قيام الطائرة بوقت قليل.

وكانت أولى التحيات من مضيفة في الطائرة عندما صعدنا إليها أن مسحت أنفها بظاهر كفها، أما التحية الثانية فإنها صحن فيه حلوى معتادة مغلفة، ومناديل ورقية صغيرة فيها قطن يضعه الراكب في أذنه إذا شاء، وحبات من الكراوية، وقد لبستْ اللباس الهندي التقليدي المؤلف من الساري الذي يضرب إلى القدمين، وفوقه صدري صغير يلف أسفل الثديين، وتبرز من بطنها كالحلقة الدائرة حوله، وقد ذكرت بقية الحديث عن هذه الرحلة إلى حيدر آباد في كتاب ((**في جنوب الهند**)).

تم الكتاب

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف.. ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١١
المقدمة ١٤
كيرالا: ١٨
من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي ٥١
الاستقبال بالزهور: ٥٣
مزيد من أطواق الزهور: ٥٤
مدينة كاليكوت: ٥٤
ابن بطوطة في كاليكوت: ٥٥
كلية البنات: ٦٤
جلسة إسلامية: ٦٥
على سطح الفندق: ٦٦
وحفلة أخرى: ٦٦
الفنس: ٦٨
دار الأيتام: ٦٩
مقر الجماعة الإسلامية: ٧٢
مدرسة المعوقين: ٧٢
بيت المغزل: ٧٣
ختان الرجال بالجملة: ٧٣
إلى سانتابرم: ٧٥
المدرسة الإلهية: ٧٦
جامع الخليفة في كاليكوت: ٧٦
اللغة: ٧٧
السكان: ٧٧
العلاقة بين المسلمين والهنادك في كيرالا ٧٨
الغيث المدرار في بلاد المليبار: ٨٠
إلى بنقلور: ٨١
كيف يرممون الطرق؟ ٨٢
القهوة والهيل في مزرعة واحدة: ٨٣
والشاي أيضاً: ٨٤
إلى الطريق ثانية: ٨٥
حواجز بين الولايات: ٨٦
إلى ماليبار ... ثانية ٨٧
سبب الرحلة: ٨٨
من بومبي إلى كوشن: ٩٠
في مطار كوشن: ٩٤
في مدينة كوشن: ٩٦
إلى بلدة كوتي بروم: ٩٧
ريف كوشن: ٩٨
بلدة آلوى: ٩٩
البقرة والثور في كيرالا: ٩٩
مدينة أنكا مالي: ١٠٠
مدينة كونم قلام: ١٠١
هذه كوتي بروم: ١٠٢
الجلسة الافتتاحية: ١٠٣
الافتتاح: ١٠٤
عشاء المؤتمر: ١١٥

مشكلة المأوى: ١١٦
الأذان في الغابات: ١١٩
إلى بلدة ترو رنقادي: ١٢٠
دار الأيتام: ١٢١
مسجد الدار: ١٢٣
المشروعات الجديدة: ١٢٩
مستشفى الحاج م. ك. أحمد ١٢٩
في المسجد السلفي: ١٣٠
فندق المعاناة: ١٣٣
ليلة ليلاء: ١٣٥
ما أحلى أذان الفجر: ١٣٧
صباح الشرطي: ١٣٨
العودة إلى المؤتمر: ١٣٩
التوحيد على نهر (باراتا): ١٣٩
إطعام خمسين الفاً: ١٤٠
الغداء الحافل: ١٤٢
سوق الكتب: ١٤٣
معرض الجهاد: ١٤٤
معالم البدعة: ١٤٤
القرآن وعلومه: ١٤٧
ركن المعاقين: ١٤٧
الغرفة الطبية: ١٤٨
غرفة الطوابع: ١٤٨
المراكز الإسلامية في كيرالا: ١٤٨
مسجد مكة: ١٥٠
العودة إلى كوشن: ١٥١
الخروج إلى المطار: ١٥٣
الحبس في المطار: ١٥٤
إلى محطة القطار: ١٥٥
ومحطة الحافلات: ١٥٦
السفر إلى بومبي: ١٥٨
في مطار بومبي: ١٥٩
الفهرس ١٦٣

ISBN-13: 978-6039075608

SR 15